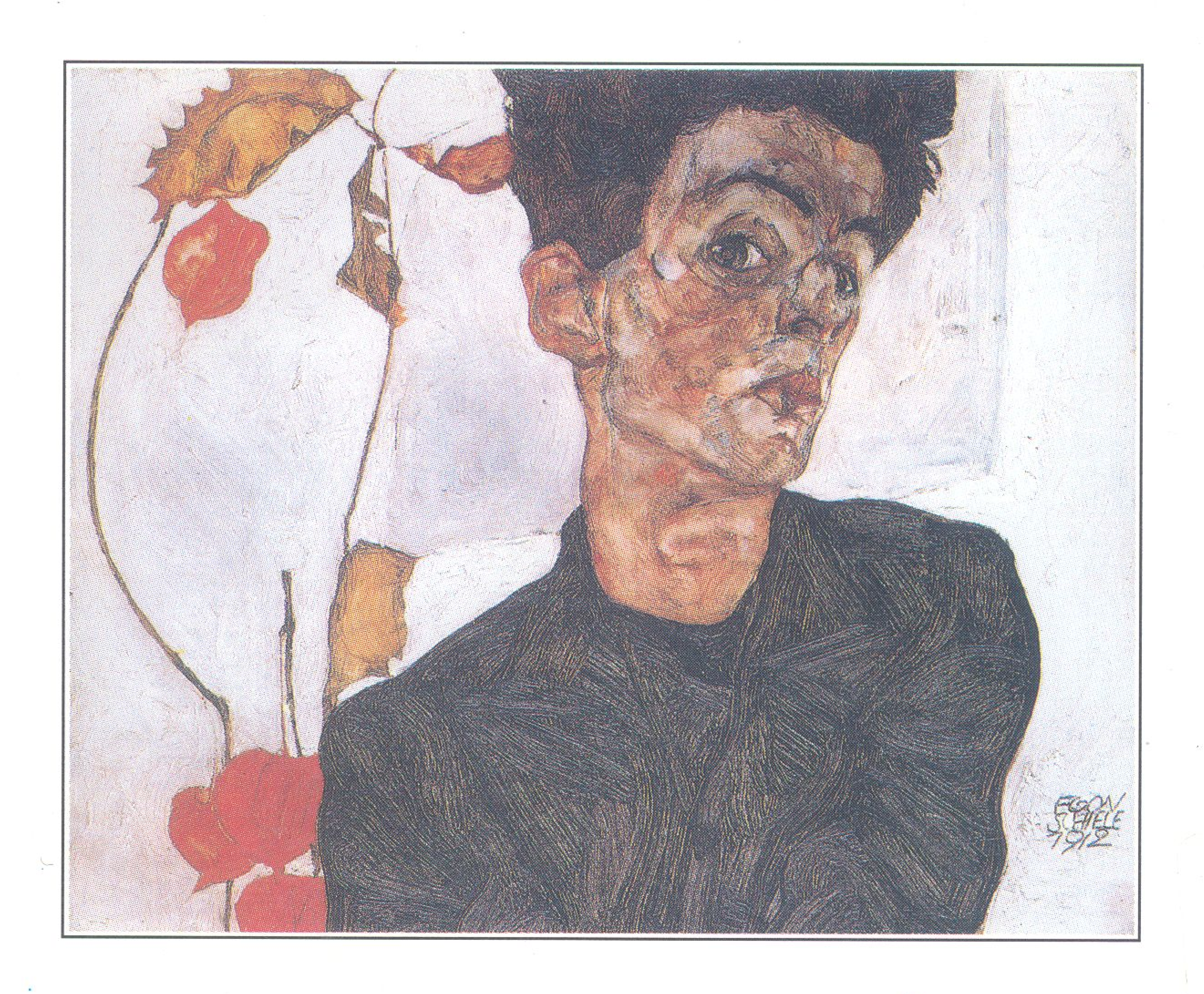
# بيتر هاندكه




# خوف حارس المرمى عند ضربة الجزاء

منشورات الجمل

بيتر هاندكه: خوف حارس المرمى عند ضربة الجزاء

بيتر هاندكه

# خوف حارس المرمى عند ضربة الجزاء

رواية

ترجمة: أحمد فاروق

مراجعة: خالد طوبار

منشورات الجمل

ولد بيتر هاندكه عام ١٩٤٢ بغريفن / كيرنتن بالنمسا. درس الحقوق بجامعة غراتس. صدرت روايته الأولى "الزنابير" والتي عُدّت تطبيقا عمليا لبحوث فيتغنشتاين الفلسفية في اللغة. أهتم بيتر هاندكه في المرحلة الأولى لكتاباته (حتى أوائل السبعينات) باللغة بشكل أساسي، فتجسد ذلك في مسرحيات مثل "غاسبار" و"مسرحيات الكلام" وديوانه الشهير "العالم الداخلي للعالم الخارجي للعالم الداخلي" من أعماله أيضا روايات "البائع المتجول"، "الخطاب القصير للوداع الطويل"، "المرأة العسراء"، ومقالات مثل "أنا ساكن البرج العاجي" و"حينما كان التمني ما يزال ذا جدوى." شارك في كتابة عدة سيناريوهات مع المخرج الألماني فيم فيندرز مثل "السماء فوق برلين "وسيناريو" هذه الرواية. حصل بيتر هاندكه على العديد من الجوائز الأدبية أهمها جائزة غيورغ بوشنر عام ١٩٧٣. يقيم اليوم بالقرب من باريس.

ولد أحمد فاروق عام ١٩٧١ بالجيزة / مصر. درس العلاقات العامة والإعلان بجامعة القاهرة. صدرت له مجموعة قصصية بعنوان "خيوط على دوائر ١٩٩٥" بالاشتراك مع خمسة كتاب آخرين. نشرت له مجموعة من القصص والترجمات في عدة صحف ومجلات مصرية وعربية. يدرس حالياً الترجمة بكلية علوم اللغة والثقافة التطبيقية، بجامعة جوتنبرج، ماينتس.

ولد خالد طوبار عام ١٩٧٠ بالقاهرة، درس السياحة والفنادق بجامعة حلوان بالقاهرة، روائي وشاعر. له رواية قيد النشر هي "برج الحمام." خالد طوبار يعيش في برلين ككاتب متفرغ.


بيتر هاندكه: خوف حارس المرمى عند ضربة الجزاء، رواية

ترجمة: أحمد فاروق، مراجعة: خالد طوبار





*Peter Handke: Die Angst des Tormanns beim Elfmeter*





Postfach 210149 . 50527 Köln . Germany

Tel: 0221 736982 . Fax: 0221 7326763

E-Mail: KAlmaaly@aol.com

«لقد رأى الحارس كيف جرت الكرة فوق الخط..»

تلقى عامل التركيبات يوزف بلوخ الذي كان في السابق حارس مرمى معروفا، عند وصوله إلى عمله قبل الظهيرة، خبر فصله. وعموما فقد فهم بلوخ ذلك فور ظهوره على باب الكشك الذي قبع فيه العمال للتو لتناول الغداء، حيث لم ينظر إليه منهم سوى رئيس العمال، ثم غادر موقع العمل. في الشارع لوح بذراعه لسيارة، لكن السيارة التي مرت من أمامه، برغم أن بلوخ لم يلوح بذراعه من أجل إيقاف تاكسي، لم تكن تاكسي أيضا. أخيرا سمع صوت فرملة؛ استدار بلوخ: خلفه وقف تاكسي وكان السائق يسب؛ استدار بلوخ مرة أخرى وركب التاكسي إلى الناش ماركت.*

كان يوما جميلا من أيام أكتوبر وأكل بلوخ السجق الساخن لدى أحد الأكشاك ثم اتخذ طريقه ما بين الأكشاك متوجها إلى إحدى دور السينما. أزعجه كل ما رآه. وحاول قدر الإمكان ألا يولي اهتماما كبيرا بما حوله. ثم زفر في داخل السينما.

بعد ذلك تعجب من تلقائية الحركة التي أجابت بها محصلة تذاكر السينما على الحركة التي وضع بها النقود في صمت على الطبق الدوار. لاحظ إلى جانب شاشة العرض وجود ساعة كهربية بأرقام مضيئة. أثناء عرض الفيلم استمع إلى رنين أجراس؛ وظل غير متأكد لوقت طويل، إن كان هذا الرنين صادرا من الفيلم أو من برج الكنيسة المجاورة لناش ماركت.

عندما عاد إلى الشارع، اشترى عنبا وكان رخيصا في هذا

---

* ناش ماركت، هو سوق شهير للأطعمة والمشهيات في فيينا. المترجم

الموسم بخاصة. استمر في سيره وأكل العنب وبصق بذوره. ولأنه لم يحمل سوى حقيبة مستندات، رفضه الفندق الأول الذي سأل فيه عن غرفة؛ في الفندق الثاني الواقع في حارة جانبية، قاده موظف الاستقبال بنفسه إلى الحجرة بأعلى. أثناء خروج موظف الاستقبال، استلقى بلوخ على السرير وغلبه النعاس في الحال.

غادر الفندق في المساء وسكر. بعد ذلك أفاق من سكره وحاول الاتصال ببعض الأصدقاء، ولأن هؤلاء الأصدقاء لا يعيشون في نطاق المدينة والتليفون لا يعيد إخراج العملات، استنفد بلوخ كل ما معه من عملات معدنية. وقام بتحية شرطي بغرض إيقافه، لكن الشرطي لم يرد التحية. وسأل بلوخ نفسه عما إذا كان الشرطي لم يفسر الكلمات التي قيلت له عبر الشارع تفسيرا صحيحا، ثم تذكر، على النقيض، التلقائية التي أدارت له بها المحصلة تذكرة الدخول على الطبق الدوار. لقد أذهلته سرعة الحركة، حتى أنه كاد ينسى أخذ التذكرة من الطبق. ثم قرر الذهاب إلى المحصلة.

عندما وصل إلى السينما، أظلمت نوافذ العرض. نظر بلوخ إلى رجل واقف على سلم كان يقوم باستبدال عنوان فيلم اليوم بعنوان فيلم الغد. انتظر حتى تمكن من قراءة عنوان الفيلم الآخر؛ ثم عاد إلى الفندق.

كان اليوم التالي هو السبت. وقرر بلوخ أن يمكث بالفندق ليوم أخر. وبخلاف زوجين أمريكيين؛ كان هو الوحيد في صالة الإفطار. واستمع لبعض الوقت إلى الحوار الذي دار بينهما بالإنجليزية والذي استطاع بقدر ما أن يفهم شيئا منه، لأنه ذهب مع فريقه عدة

مرات إلى نيويورك للمشاركة في دورة لكرة القدم. ثم خرج لوقت قصير لشراء بعض الصحف. ولأن صحف نهاية الأسبوع أثقل من الصحف اليومية الأخرى؛ لم يطوها ولكن حملها تحت ذراعه عائدا إلى الفندق. وجلس ثانية على مائدة الإفطار التي نُظفت، وأبعد الملاحق الإعلانية؛ إنها تصيبه بالضيق. ورأى بالخارج اثنين يسيران بجرائد ضخمة. وكتم أنفاسه حتى مرا. الآن فقط أدرك أنهما الأمريكيان؛ في الخارج لم يتمكن من التعرف ثانية على هذين اللذين رآهما قبل ذلك على إحدى الموائد في صالة الإفطار.

في أحد المقاهي أطال في شرب ماء الصنبور الذي قُدم له مع القهوة. وكان يقوم من وقت لآخر لإحضار إحدى المجلات المصورة من الأكوام الموضوعة على بعض الكراسي والموائد المخصصة لذلك؛ عندما أخذت النادلة بعض المجلات المصورة المكومة بجانبه، استخدمت أثناء ذهابها، كلمة «مائدة الصحف» وحاول بلوخ، الذي تصفح المجلات دون رغبة ولم يستطع في الوقت نفسه أن يضع أي منها إلى جانبه دون أن يتصفحها كلها، أن يلقي أثناء ذلك بنظرة إلى الشارع؛ ارتاح إلى التعارض ما بين صفحات المجلة المصورة والصور المتغيرة في الخارج. أثناء خروجه قام بنفسه بإعادة المجلة المصورة إلى المائدة.

كانت أكشاك الناش ماركت مغلقة. وأخذ بلوخ في إزاحة الخضر والفاكهة الملقاة أمام قدميه. قضى حاجته في مكان ما بين الأكشاك. ولاحظ أثناء ذلك أن جدران الأكشاك الخشبية كانت سوداء من أثر البول.

مازالت بذور العنب التي بصقها بالأمس باقية على الرصيف. عندما وضع بلوخ العملة الورقية على الطبق، ظلت العملة ثابتة أثناء دوران الطبق؛ وجد بلوخ فرصة لكي يقول شيئا وأجابت المحصلة. ولأن ما قاله لم يكن مألوفا نظرت إليه المحصلة نظرة فاحصة. وأتاح له ذلك فرصة استكمال الحديث. وفي صالة العرض تذكر بلوخ الرواية والغلاية الكهربائية اللتين كانا بجوار المحصلة؛ رجع بظهره إلى الوراء وبدأ في التفرقة بين المفردات على الشاشة.

في العصر ذهب بالترام إلى الاستاد وحصل على مكان للوقوف، لكنه جلس بعد ذلك على صحيفة لم يكن قد ألقاها بعد؛ لم يضايقه أن يحجب المتفرجون عنه الرؤية. فقد جلس معظمهم أثناء سير المباراة. ولم يعد بلوخ ملحوظا. ترك الصحيفة في مكانها ووضع فوقها زجاجة بيرة ثم خرج من الاستاد قبل صفارة النهاية لكي لا يتورط مع الجموع. وأحس بالاغتراب إزاء هذا العدد الكبير من الباصات وعربات الترام شبه الخاوية المنتظرة أمام الاستاد. كانت المباراة من المباريات الحماسية. وجلس في إحدى عربات الترام. جلس فيها لوقت طويل وحده تقريبا، حتى بدأ في الانتظار. هل سيسمح الحكم باللعب الإضافي؟ عندما رفع بلوخ رأسه، رأى أن الشمس قد غربت. ونكس رأسه دون أن يريد التعبير بذلك عن شيء بعينه.

وفجأة، أصبح الجو عاصفا بالخارج. مع صفارة النهاية تقريبا والتي تكونت من ثلاث صفارات طويلة منفردة، صعد سائقو ومحصلو الباصات والترام إلى عرباتهم وأقبل الناس من الاستاد

جريا. وتخيل بلوخ الضجيج الناتج عن سقوط زجاجات البيرة على أرض الملعب؛ وسمع في نفس الوقت صوت ذرات التراب تصطك بزجاج النوافذ. وإذا كان قد رجع بظهره إلى الوراء في السينما، فها هو الآن يدفع بجسمه إلى الأمام عند دخول المتفرجين إلى عربة الترام. لحسن الحظ كان معه برنامج السينما الخاص بفيلم اليوم. ساوره إحساس بأن الأضواء الكاشفة قد أضيئت لتوها في الاستاد. وقال بلوخ، فكرة مجنونة. لقد كان حارس مرمى سيئا في الأضواء الكاشفة.

حاول لبعض الوقت أن يجد كابينة تليفون في وسط المدينة ؛ عندما وجد كابينة خاوية، كانت السماعة فيها مقطوعة وملقاة على الأرض. واستمر في سيره. أخيرا استطاع أن يتصل من المحطة الغربية. ولأن اليوم هو السبت كان من العسير الوصول إلى أي شخص. وأخيرا عندما ردت امرأة كان يعرفها من قبل، كان عليه أن يتحدث لبعض الوقت حتى تعرفت عليه. ثم تواعدا على اللقاء في مقهى بالقرب من المحطة الغربية، حيث يوجد به، حسب علم بلوخ، جهاز أسطوانات أوتوماتيكي. وهناك حاول تمضية الوقت، حتى تأتي المرأة، بأن يضع العملات في جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي وأن يدع آخرين يضغطون على زر التشغيل؛ أثناء ذلك تأمل في صور وتوقيعات لاعبي الكرة المعلقة على الحوائط؛ قبل عدة سنوات أستأجر هذا المقهى مهاجم في الفريق القومي، ثم سافر المهاجم بعد ذلك إلى أمريكا لتدريب أحد الفرق القوية بالاتحاد الأمريكي، وبعد حل الاتحاد ضاع هناك. ودخل بلوخ في حديث مع فتاة كانت

جالسة على مائدة بجوار جهاز الأسطوانات وكانت تضغط على زر التشغيل خلفها كل مرة دون أن ترى وتختار نفس الأسطوانة. ثم غادرت معه المطعم. وحاول الدخول معها إلى أقرب مدخل بناية، لكن أبواب البنايات كلها كانت مغلقة وعندما انفتح أحد الأبواب تبين حسب الترانيم المسموعة انعقاد قداس خلف الباب الثاني. ودخلا مصعدا كان موجودا ما بين البابين الأول والثاني؛ ضغط بلوخ على الزر الخاص بأعلى طابق. وقبل أن يتحرك المصعد أرادت الفتاة أن تخرج. ثم ضغط بلوخ على زر الطابق الأول؛ خرجا وبقيا واقفين في بئر السلم؛ الآن أصبحت الفتاة ألطف. وصعدا معا السلالم جريا. كان المصعد واقفا بطابق السطح، فركباه وهبطا ثم عادا إلى الشارع.

وسار بلوخ لبعض الوقت بجانب الفتاة، ثم استدار وعاد إلى المقهى. كانت المرأة تنتظر وهي ما تزال مرتدية معطفها. وأوضح بلوخ لصديقة الفتاة التي كانت تنتظر على المائدة المجاورة لجهاز الأسطوانات بأن الفتاة لن تعود، ثم غادر المطعم مع المرأة.

وقال بلوخ «أراني مضحكا بدون معطف في حين أنك ترتدين واحدا.» وتعلقت المرأة بذراعه ولكي يخلص بلوخ ذراعه تصرف وكأنه يريد أن يريها شيئا، ثم لم يعرف بعد ذلك ماذا كان عليه أن يريها. أصابته رغبة مفاجئة في شراء صحيفة مسائية. وسارا في عدة شوارع مختلفة دون أن يريا أي بائع صحف. أخيرا ذهبا بالباص إلى المحطة الجنوبية، لكن المحطة كانت مغلقة. وتصرف بلوخ وكأنه مفزوعا، لكنه كان بالفعل مفزوعا. لمحت له المرأة في

الباص بعدم إحساسها بالراحة وذلك بأن فتحت حقيبتها وأخذت تعبث بأشياء مختلفة داخلها، وقال لها بلوخ: «لقد نسيت أن أترك ورقة» ولم يعرف ماذا يعني فعلا بالكلمتين «ورقة» و«أترك.» على أية حال، لقد ذهب بالتاكسي وحيدا إلى الناش ماركت.

ولأن السينما كانت تقدم يوم السبت عرضا ليليا، فقد كان وصول بلوخ إليها مبكرا جدا. ولهذا ذهب إلى مطعم قريب به خدمة ذاتية وأكل كفتة واقفا. وحاول أن يحكي للنادلة نكتة في أقصر وقت ممكن. ولما انتهى الوقت ولم يكن قد انتهى من حكاية النكتة لأخرها، قطع حديثه ودفع الحساب، فضحكت النادلة.

في الطريق قابل أحد معارفه وطالبه هذا الأخير بنقود فسبه بلوخ. وعندما أمسك المخمور بقميص بلوخ أظلم الشارع وسقطت يدي المخمور فزعا. ثم ابتعد بلوخ مسرعا عندما أدرك أن إضاءة إعلان السينما سوف تطفئ. وقابل المحصلة أمام السينما ؛ كانت بصدد ركوب سيارة رجل ما.

نظر بلوخ إليها وردت نظرته من داخل السيارة وهي جالسة على المقعد المجاور لمقعد القيادة بأن عدلت وضع فستانها على المقعد؛ على الأقل فهم بلوخ ذلك على أنه رد. ولم يحدث شيء بعد ذلك. أغلقت الباب وانطلقت السيارة.

عاد بلوخ إلى الفندق ووجد الصالة الخارجية مضاءة ولكنها خالية من البشر؛ وعندما أخذ مفتاح الغرفة من المسمار المعلق عليه، سقطت من فوق الرف ورقة مطوية، ففتحها: كان بها حساب الفندق. أثناء وقوف بلوخ بالورقة في يده في الصالة الخارجية وتأمله

للحقيبة الوحيدة الموضوعة بجانب الباب، جاءه موظف الاستقبال من حجرة التخزين. سأله بلوخ في الحال عن الصحيفة ونظر أثناء ذلك عبر الباب المفتوح لحجرة التخزين، حيث كان من الواضح أن موظف الاستقبال قد نام هناك على كرسي كان قد جلبه من الصالة الخارجية. أغلق الموظف الباب بحيث لم يعد بإمكان بلوخ أن يرى سوى سلم عليه وعاء للحساء، ثم استعد للحديث بعدما وقف خلف مكتب الاستقبال. لكن بلوخ استوعب إغلاق الباب على أنه إجابة بالرفض وصعد الدرج إلى غرفته. لمح أمام أحد الأبواب بالممر الممتد زوج أحذية؛ خلع حذائه في الغرفة دون أن يفك الأربطة ثم وضعه بنفس الطريقة أمام الباب. ثم رقد في السرير ونام في الحال.

واستيقظ في منتصف الليل لوقت قصير على صوت شجار بالغرفة المجاورة؛ ربما كان سمعه قد أُثير من أثر الاستيقاظ المفاجئ، حتى أنه ظن أن الأصوات في الجوار أصوات شجار. وضرب بقبضته على الحائط ضربة واحدة. وعلى أثر ذلك سمع صوت انسياب المياه من الصنبور. أُغلق الصنبور. أصبح كل شيء هادئا فنام ثانية.

في اليوم التالي أوقظه رنين التليفون بالغرفة. لقد سألوه إذا كان يريد البقاء لليلة أخرى. وأثناء تأمل بلوخ لحقيبة المستندات - لم يكن بالغرفة مكان مخصص لحفظ حقائب السفر - رد على الفور بنعم ووضع السماعة. وبعدما أحضر الحذاء الذي لم يُلمع، غالبا لأن اليوم هو الأحد، غادر الفندق دون أن يفطر.

وقام بحلاقة ذقنه بماكينة حلاقة كهربية في حمام المحطة

الجنوبية واستحم في أحد كبائن الاستحمام بها. وقرأ في الجريدة أثناء ارتداءه لملابسه أخبار الرياضة وتقارير المحاكم. وأحس بعد مرور بعض الوقت فجأة بالارتياح، كان ما يزال مستغرقا في القراءة – كان كل شيء هادئا حول الكابينة – استند إلى جدار الكابينة بعد أن ارتدى ملابسه، وارتطم حذائه بالدكة الخشبية. واستثارت الضجة الناتجة عن ذلك تساؤل عاملة الكابينة بالخارج. وعندما لم يرد، طرقت على الباب. وعندما لم يرد مرة ثانية ضربت المرأة بفوطة (أو بأي شيء كان) على مقبض الباب وابتعدت.

وانتهى بلوخ من قراءة الصحيفة واقفا.

وقابل أمام المحطة أحد معارفه، كان يريد الذهاب لأحد الضواحي للتحكيم في مباراة في دوري الدرجة الثانية. وفهم بلوخ هذه المعلومة على أنها نكتة، وقال مكملا للمزاح، أنه يستطيع الذهاب معه إلى هناك كمراقب خط. وحتى عندما فك هذا الشخص رباط المخلة وأراه داخلها زي الحكم وشبكة مليئة بحبات الليمون، أعتبر بلوخ هذه الأشياء نوعا من ألعاب المفاجئات، تماما كما فعل من قبل مع الجملة الأولى للأخر، وأوضح مجاريا إياه، بأنه على استعداد لو سافر معه أن يحمل المخلة في الحال. بل لقد بدا له ركوب قطار الضاحية مع الآخر وأن يضع المخلة على ركبتيه وخصوصا أن صالون القطار سيكون شبه خاوي في وقت الظهيرة، على أنه نوع الاستمرار في المزاح. لم يتمكن بلوخ من أن يوضح لنفسه ببساطة، ما هي علاقة الصالون الفارغ بالقطار بسلوكه غير الجاد. تخيل أن هذا الرجل ذو المخلة قد سافر إلى الضاحية وأنه

قد سافر معه وتناولا غداءهما سويا بمطعم بالضاحية وذهبا بعد ذلك كما يقول بلوخ «إلى ملعب جميل لكرة القدم»، وتراءت له عودته إلى المدينة وحيدا – المباراة لم تعجبه – على أنه تكلف ثنائي الجانب. وفكر بلوخ في أنه لا جدوى من ذلك. لحسن الحظ لم يقابل أحدا على رصيف المحطة.

اتصل بزوجته السابقة من كابينة تليفون بجانب إحدى الحدائق، قالت أن كل شيء على ما يرام، ولم تسأله عن شيء. كان بلوخ مضطربا.

جلس في حديقة مقهى كانت ما تزال مفتوحة رغم انقضاء الصيف وطلب بيرة. ولما لم يأت أحد بالبيرة، انصرف بعد بقائه مدة منتظرا؛ أغشى بصره أيضا لوح المائدة المصنوع من الصلب، لم يكن على المائدة مفرش. ووقف أمام نافذة أحد المقاهي، جلس الناس فيه أمام التلفزيون. وظل يشاهد التلفزيون لمدة من الوقت. ألتفت أحدهم إليه وتابع بلوخ سيره.

وفي حديقة ملاهي براتر دخل في مشاجرة. سحب أحد الصبية جاكتته من الخلف وضربه الآخر برأسه تحت الذقن. وانثنى بلوخ قليلا ثم سدد للصبي الذي في الأمام ركلة. وفي النهاية حشره الاثنان خلف أحد أكشاك الحلويات وطرحوه أرضا، فسقط وانصرف الصبيان. في الحمام نظف بلوخ وجهه وبذلته.

ولعب البلياردو في أحد مقاهي الحي الثاني حتى أتى موعد أخبار الرياضة في التلفزيون. وطلب بلوخ من النادلة أن تقوم بتشغيل التلفزيون ثم شاهد نشرة الأخبار مظهرا عدم اكتراثه

بمحتواها. ودعا النادلة أن تشرب معه شيئا. وعندما عادت النادلة من الغرفة الخلفية، حيث كانت تدار إحدى اللعبات الممنوعة، كان بلوخ قد وقف أمام الباب؛ مرت أمامه، لكنها لم تقل شيئا، وخرج بلوخ.

عاد إلى الناش ماركت وعندما نظر إلى صناديق الخضر والفاكهة الفارغة المكومة بغير نظام، تراءت له الصناديق كنوع من المزاح، تهريج. وفكر بلوخ الذي يشاهد بمتعة الكاريكاتير بدون تعليق قائلاً، مثل الكاريكاتير بدون تعليق. ولم يختفي هذا الانطباع بالصنعة والتكلف – فكر بلوخ «تكلف صفارة الحكم في المخلة» – إلا عندما أصبح في داخل السينما، حيث أخذ ممثل كوميدي أثناء مروره بالصدفة آلة ترومبيت من أحد محلات الحاجيات القديمة وأخذ يجرب العزف عليها بتلقائية تامة. تعرف بلوخ ثانية على آلة الترومبيت هذه وأيضا على كل الأشياء الأخرى بلا تصنع وبدون أن تكون ذات معنيين. وأصبح بلوخ هادئا.

بعد انتهاء الفيلم انتظر بلوخ المحصلة ما بين أكشاك الناش ماركت، وخرجت هي من السينما بعد فترة وجيزة من ابتداء العرض الأخير. ولكي لا يفزعها إذا ما خرج عليها من بين الأكشاك ظل جالسا على أحد الصناديق حتى وصلت هي إلى منطقة ذات إضاءة أفضل بناش ماركت. في أحد الأكشاك المهجورة رن جرس تليفون خلف البوابة الصاجية المموجة؛ كان رقم تليفون الكشك مكتوبا بخط كبير على الصاج المموج. وقال بلوخ لنفسه في الحال «غير موجود بالخدمة.» ومشى وراء المحصلة دون أن يلحق

بها. وعندما ركبت الباص جاء وركب وراءها كذلك. وجلس مواجها لها ولكنه سعى إلى أن تكون بينهما عدة صفوف من المقاعد. وعندما حجب بعض ركاب المحطة التالية الرؤية عنه، تمكن بلوخ من أن يبدأ في التفكير ثانية: لقد رأته بالفعل لكن من الواضح أنها لم تتعرف عليه، هل غيرت المشاجرة ملامحه بهذا القدر. تحسس بلوخ وجهه. لقد وجد أنه من السخف أن ينظر في زجاج الباص ليرى ما تفعل. وأخرج الصحيفة من الجيب الداخلي لمعطفه وتأمل الحروف لكنه لم يقرأ. لكنه أكتشف فجأة أنه يقرأ. يروي شاهد عيان مقتل أحد القوادين برصاصة صوبت عن قرب إلى عينه. «من مؤخرة رأسه خرج خفاش واصطدم بورق الحائط. أخذ قلبي يدق بشدة.» وعندما تناولت الجمل مباشرة موضوعا أخر عن شخص أخر دون أن تقسم إلى فقرات، فزع بلوخ. وفكر بلوخ الذي أصبح غاضبا بعد أن كان فزعا «كان عليهم أن يقوموا بعملٍ فقرات.» ومشى في ممر الباص متجها إلى المحصلة وجلس في مقابلها ملتويا بحيث يستطيع أن ينظر إليها، لكنه لم ينظر إليها.

وعندما نزلا من الباص، أدرك بلوخ أنهما في خارج المدينة بالقرب من المطار. الآن هنا في الليل، ساد السكون. وسار بلوخ بجانب الفتاة ولكن ليس كمن يريد مرافقتها أو حتى أنه يرافقها فعلا. وبعد فترة لمسها. تسمرت الفتاة في مكانها، ثم التفتت إليه ولمسته أيضا ولكن بعنف بحيث أصابه الفزع. وأحس في لحظة بألفة مع حقيبة يدها أكثر منها هي نفسها.

ومشيا لبعض الوقت جنبا إلى جنب متخذين مسافة ما من

بعضهما دون أن يتلامسا. تلامسا مرة أخرى على الدرج. ثم شرعت هي في الجري ومشى هو أبطأ. وعندما وصل إلى أعلى، تعرف على شقتها حينما رأى الباب مفتوحا. أظهرت نفسها في الظلام، وذهب إليها ثم تركا نفسيهما لبعضهما البعض في الحال.

وعندما استيقظ في الصباح على أثر ضجيج، نظر من نافذة الشقة ورأى طائرة تهبط. وشد الستائر بسبب وميض كشافات الطائرة. كانت الستائر مفتوحة لأنهما لم يضيئا أية مصابيح. أغلق بلوخ عينيه ونام.

بإغلاق عينيه غمره إحساس غريب بالعجز عن التخيل. وبرغم محاولته تخيل الأشياء الموجودة في الحجرة بكل الأوصاف الممكنة، لم يستطع أن يتخيل شيئا، ولا حتى الطائرة التي رآها تهبط للتو وكان قد تعرف على الضجيج الحالي لفرملتها على المسار من قبل، لم يكن قادرا على رسمها بأفكاره. فتح عينيه ونظر لبعض الوقت إلى الزاوية التي بها ركن المطبخ. وانطبعت في ذاكرته غلاية الشاي والزهور الذابلة المدلاة من حوض الغسيل. وما كاد يغلق عينيه حتى صار تخيل الزهور وغلاية الشاي غير ممكن. وحاول أن يعين نفسه بأن يكون بهذه الأشياء جملا بدلا من الكلمات، حيث رأى أن وجود حكاية مكونة من هذه الجمل قد يسهل عليه تصور هذه الأشياء. صفرت غلاية الشاي. الزهور كانت مهداة للفتاة من صديق لها. لم يرفع أحد غلاية الشاي من فوق السخان الكهربائي. سألت الفتاة «هل أصنع شايا.» ولم يعد هناك جدوى: فتح بلوخ عينيه عندما أصبح الأمر غير محتمل. ونامت الفتاة إلى جواره.

أصبح بلوخ مضطربا. فمن ناحية، عندما يفتح عيناه يحس بضغط الأشياء المحيطة عليه ومن ناحية أخرى، عندما يغلق عيناه، يحس بالضغط الأسوأ للكلمات الخاصة بالأشياء المحيطة عليه! ثم قال لنفسه «هل لهذا علاقة بأنني كنت نائما معها؟» دخل إلى الحمام واستحم لمدة طويلة.

وصفرت غلاية الشاي بالفعل، عندما خرج من الحمام. وقالت الفتاة «لقد أيقظني صوت الدش!» وبدا لبلوخ وكأنها تكلمه للمرة الأولى وجها لوجهه. ورد هو بأنه لم يفق تماما، هل هناك نمل في إبريق الشاي؟ «نمل؟» عندما مس الماء المغلي من الغلاية وريقات الشاي في الإبريق، رأى بلوخ، بدلا من وريقات الشاي، نملا كالذي صب عليه ذات مرة ماء مغليا. فتح الستائر ثانية.

بدا الشاي في الإبريق المفتوح بإضاءة غريبة منبعثة من انعكاس الضوء في الجدران الداخلية للإبريق، إذ أن الضوء كان يصل إليه فقط من خلال فتحة الغطاء المدورة الصغيرة. وثبت بلوخ الجالس على المائدة ممسكا بالإبريق نظرته داخل الفتحة. وتلذذ من كونه مشدودا إلى اللمعة الخاصة لوريقات الشاي أثناء حديثه مع الفتاة الجالسة إلى جواره. وأخيرا ضغط الغطاء على الفتحة وتوقف في نفس الوقت عن الكلام. ولم تلمح الفتاة شيئا. قالت «اسمي جيردا.» لم يرد بلوخ معرفة ذلك مطلقا. وسألها بلوخ إن كانت لم تلمح شيئا، لكنها وضعت أسطوانة عليها أغنية إيطالية، عُزف لحنها بجيتارات كهربائية وقالت «أحب صوته.» وسكت بلوخ الذي لم يفهم شيئا من الأغنية الإيطالية.

وعندما ذهبت لوقت قصير لإحضار بعض الأشياء للإفطار، قالت «اليوم هو الاثنين»!، تمكن بلوخ أخيرا من تأمل كل شيء بهدوء. وتحدثا كثيرا أثناء الطعام. ولاحظ بلوخ أنها تتحدث عن الأشياء التي حكاها لها للتو، كما لو كانت أشياءها الخاصة، أما هو فكان على النقيض من ذلك، فحين يذكر شيئا، كانت قد تحدثت عنه لتوها، كان يقتبس كلامها بحذر أو إذا ما استخدم مفرداتها الخاصة يسبقها بأدوات إشارة للبعيد والغريب مثل «ذلك» و«تلك»، كما لو أنه يخشى أن تختلط خصوصياته بخصوصياتها. فعند حديثه عن رئيس العمال أو عن لاعب كرة يدعى شتوم، كان بإمكانها بعد ذلك بوقت قصير أن تقول بيسر واعتياد «رئيس العمال» و«شتوم»؛ وعلى النقيض عندما ذكرت هي أحد معارفها ويدعى فريدي وحانة اسمها «شتيفانسكيلر»، كان يجيب على ذلك في كل مرة قائلا: «ذلك الفريدي؟» و«تلك الشتيفانسكيلر؟» وأعاقه حديثها عن الاستمرار في المناقشة وضايقه أنها تستخدم ما يقوله – حسبما بدا له – بغير كلفة.

وبالطبع أصبح الحديث بينهما في بعض المرات طبيعيا مثلها تماما: سألها وأجابت وسألته ورد هو ردا تلقائيا. «هل هذه طائرة نفاثة؟» – «لا، هذه طائرة مروحية» – «أين تسكن؟» – «في الحي الثاني.» بل إنه كاد أن يحكي لها عن المشاجرة.

لكن إحساسه بالضيق قد أخذ يزداد ثانية. أراد أن يجيبها ولكنه توقف عن الكلام لأنه اعتبر ما ينوي قوله، شيئا معروفا. وأصبحت هي غير هادئة وأخذت تذرع الغرفة جيئة وذهابا وتبحث

عن شيء تفعله؛ كانت تبتسم ببلاهة من حين لأخر. قضت بعض الوقت في تغيير الأسطوانات وتبديلها. نهضت ثم رقدت على السرير. جلس إليها. سألته ما إذا كان سيذهب إلى العمل اليوم؟

فجأة خنقها. لقد ضغط على عنقها بشدة بحيث لم يعد بإمكانها تفسير ذلك على أنه مزاح. وسمع بلوخ أصواتا بالخارج. لقد أصيب بخوف الموت. ولاحظ أن سائلا يسيل من أنفها. ثم أصدرت خوارا. أخيرا سمع صوت يشبه الفرقعة. لقد بدا له كاصطدام سيارة بصخرة على طريق زراعي غير ممهد. وسالت قطرات اللعاب على الأرضية المشمع.

كانت الصدمة قوية، حتى أنه أصيب بالإعياء في الحال. رقد على الأرض، غير قادر على النعاس ولا على رفع رأسه. واستمع إلى صوت الضرب على مقبض الباب من الخارج بفوطة. أصغى. لم يكن هناك شيء يمكن سماعه. إذن فلا بد أن النعاس قد غلبه.

ولم يحتاج إلى وقت طويل لكي يفيق؛ ومنذ اللحظة الأولى لاستيقاظه أحس بأن كل مواضع جسده مفتوحة؛ قال لنفسه، كما لو أن هناك تيار هوائي بالغرفة. لم يكن بجسده خدش واحد ومع ذلك تخيل أن سائلا ليمفويا يسيل من سائر أنحاء جسده. نهض وقام بمسح كل الأشياء الموجودة بالغرفة بفوطة المواعين.

نظر من النافذة؛ بأسفل سار أحدهم على النجيل وذراعه محمل بالبذلات المعلقة على شماعات في طريقه إلى سيارة شحن.

غادر الشقة مستخدما المصعد، وسار لفترة من الوقت دون أن يغير اتجاهه. بعد ذلك ركب باص الضاحية إلى محطة الترام. ومن

هناك ركب إلى وسط المدينة.

وعندما عاد إلى الفندق تبين أنهم قد احتفظوا بحقيبة مستنداته، باعتبار أنه لن يعود ثانية. وأثناء دفعه للحساب، أحضر ساعي الفندق الحقيبة من حجرة التخزين. وتعرف بلوخ في موضع دائري فاتح اللون على الحقيبة على أثر لزجاجة حليب بقاع رطب كانت موضوعة فوق الحقيبة. فتح بلوخ الحقيبة أثناء بحث موظف الاستقبال عن عملات معدنية ولاحظ أنهم قد فتشوا محتويات الحقيبة؛ لقد بان عصا فرشاة الأسنان من الجيب الجلدي، وكان راديو الجيب موضوعا فوقها. ألتفت بلوخ إلى ساعي الفندق، لكنه كان في حجرة التخزين. ولأن المساحة الموجودة خلف مكتب الاستقبال كانت ضيقة نسبيا، تمكن بلوخ من جذب موظف الاستقبال إليه بإحدى يديه بعد ذلك أخذ نفسا عميقا ثم لكمه في وجهه باليد الآخرى. تراجع موظف الاستقبال برغم أن بلوخ لم يصبه. وظل ساعي الفندق ساكنا بحجرة التخزين. أثناء ذلك أخذ بلوخ الحقيبة وانصرف.

وصل إلى مكتب شئون العاملين بالشركة بالضبط قبل حلول موعد راحة الظهيرة وأحضر أوراقه من هناك. وتعجب بلوخ من أن الأوراق ليست جاهزة ومن ضرورة إجراء بعض المكالمات التليفونية وطلب من جانبه أن يجري بعض المكالمات التليفونية، وأتصل بزوجته السابقة. وعندما رد طفلها وبدأ يقول الجملة التي لقنتها إياه بأنها ليست بالمنزل؛ وضع بلوخ السماعة. أثناء ذلك كانت أوراقه جاهزة. وضع بلوخ بطاقته الضريبية في حقيبة

المستندات؛ انصرفت المرأة أثناء سؤاله لها عن الأجر المتبقي، وضع بلوخ حساب المكالمة التليفونية فوق المكتب وغادر المبنى.

حتى البنوك أغلقت. لذلك قضى فترة الظهيرة منتظرا في إحدى الحدائق، حتى تمكن من سحب نقوده من حسابه الجاري فلم يكن لديه أبدا حساب ادخاري. ولأن هذه النقود كانت غير كافية، قرر إعادة الراديو الترانزيستور الجديد. ذهب إلى محل إقامته بالحي الثاني وأحضر فلاشا وماكينة حلاقة. وأوضحوا له في المحل أن بإمكانه إعادة الأشياء عند استبدالها بأشياء أخرى. عاد بلوخ بالباص إلى حجرته مرة ثانية وأخذ معه في حقيبة سفر، كأسين كانا بالطبع تقليدا للكؤوس التي حصل عليها فريقه ذات مرة في إحدى مسابقات الكأس، وميدالية وحذائيين ذهبيين.

وفي بادئ الأمر، عندما لم يجيء إليه أحد من عمال محل الحاجيات القديمة، أخرج أشياءه ووضعها على مائدة البيع. لكن عندما تبين له أن وضعه للأشياء على مائدة البيع بهذه الطريقة يوحي بأنها قد بيعت فعلا، سحبها من على المائدة بسرعة، بل وخبأها في الحقيبة ثانية حتى طُلبت منه. ورأى على الرف خلف البائع علبة موسيقية، يقف عليها تمثال لراقصة من البورسيلين في الوضع المعتاد. وكالعادة عند رؤيته لعلبة موسيقية يظن أنه قد رآها من قبل. ووافق على العرض الأول الذي قدم له كثمن لأشيائه دون فصال.

ونوى الذهاب إلى المحطة الجنوبية حاملا على ذراعه المعطف الذي أحضره من المنزل. وفي طريقه إلى الباص قابل بائعة الصحف

التي يشتري منها عادة صحفه. كانت ترتدي معطفا من الفرو وتصطحب معها كلبا؛ وبرغم أنه كان عادة ما يتحدث معها ويلقي بنظرة على أناملها السوداء أثناء تبادله العملة بالصحيفة، إلا أنه لم يتعرف عليها خارج الكشك؛ على أية حال لم تنظر هي إليه ولم ترد تحيته.

ولأن عدد القطارات المتجهة إلى الحدود اليوم قليلة، قضى بلوخ وقته بالدخول إلى سينما نشرات الأخبار ونام هناك. فجاءة سطعت إضاءة ما وأحس بتهديد الضجيج الناتج عن غلق وفتح الستار. ولاكتشاف ما إذا كان الستار قد أغلق أو فتح، فتح عينيه. أضاء أحدهم بطارية جيب في وجهه. أطاح بلوخ ببطارية الجيب من يد كشاف السينما وذهب إلى حمام السينما.

هنا ساد الهدوء، ودخل ضوء النهار؛ وقف بلوخ ساكنا لبعض الوقت.

تبعه كشاف السينما وهدد بإحضار الشرطة. فتح بلوخ صنبور المياه وغسل يديه ثم ضغط على زر مجفف اليد الكهربي ووضع يديه في الهواء الساخن حتى اختفى كشاف السينما.

ثم غسل بلوخ أسنانه. تأمل في المرآة غسيله لأسنانه بيد وتكويره بيسر لليد الأخرى على شكل قبضة ووضع قبضته على صدره بأسلوب معين. سمع ضوضاء أفلام الرسوم المتحركة الصادرة من داخل السينما.

كان لبلوخ في الماضي صديقة، يعرف أنها تدير في الوقت الحالي مطعما في منطقة حدودية بالجنوب. وبحث عن رقم تليفونها في أدلة

التليفون بمصلحة بريد المحطة، حيث توجد أدلة تليفون لكل أنحاء البلاد، ولكن بلا جدوى؛ هناك عدة مطاعم بالمنطقة، لكن أسماء أصحابها غير واردة بالدليل؛ إضافة إلى ذلك فقد تضايق بلوخ بمرور الوقت من رفع أدلة التليفون. حيث كانت الأدلة معلقة بظهورها في صفوف إلى أعلى. قال بلوخ لنفسه فجأة «الوجه إلى أسفل.» دخل شرطي وطلب بطاقته الشخصية.

قال الشرطي أثناء نظره إلى جواز سفر بلوخ ومضاهاته مع وجهه أن كشاف السينما قد شكاه. بعد بعض الوقت قرر بلوخ أن يعتذر. وأعاد إليه الشرطي جواز السفر ملفتا انتباهه إلى أنه قد أساء في التصرف تجاه عامل السينما. لم ينظر بلوخ إليه بل أسقط دليل التليفون من يده في الحال. صرخ أحدهم وعندما نظر بلوخ، رأى أن أحد العمال اليونانيين كان يتكلم في كابينة التليفون المقابلة بصوت عال. فكر بلوخ ثم قرر السفر بالباص بدلا من القطار. استبدل تذكرة السفر واتجه بالفعل إلى موقف السيارات بعد أن اشترى شطيرة سجق وبعض الصحف.

كان الباص واقفا، لكنه بالطبع مغلق. وقف السائقون على بعد وأخذوا يتحدثون. جلس بلوخ على دكة، سطعت الشمس، أكل شطيرة السجق، وترك الصحيفة بجانبه لأنه يريد يحتفظ بها لساعات السفر الطويلة.

وظلت الأماكن المخصصة لحقائب السفر بجانبي الباص خالية نوعا ما، فقليل من الناس من أتى بحقائب سفر. أنتظر بلوخ بالخارج حتى أغلق الباب المروحي الخلفي. ثم صعد بسرعة من

الباب الأمامي وتحركت العربة. ثم توقفت على صوت نداء من الخارج، لم يلتفت بلوخ، صعدت فلاحة معها طفل يبكي بصوت عال. سكت الطفل بالداخل وفي هذه الأثناء كانت العربة قد انطلقت.

ولاحظ بلوخ أن مقعده فوق إطار العربة مباشرة. وانزلقت قدماه من موضع الأرضية غير المستوية. جلس في الصف الأخير، بحيث يمكنه إذا تطلب الأمر أن ينظر من الشباك الخلفي بلا مشاكل. عندما جلس، رأى، برغم أن ذلك قد لا يعني شيئا، عيني السائق في المرآة الخلفية. واستغل بلوخ التفاته لحشر حقيبة المستندات خلفه ونظر إلى الخارج. ترجرج الباب الخلفي مصدرا صوت عاليا.

وبينما اصطفت بقية مقاعد الباص خلف بعضها البعض، واجه صفا المقاعد الموجودة أمامه بعضهما البعض وبهذا انقطع حديث معظم الركاب في المقاعد التي خلف بعضها بعد انطلاق العربة، بينما استمر المسافرون الجالسون أمامه في حديثهم. وراقت أصوات الناس لبلوخ. وسره أنه كان يستطيع الإنصات. وبعد مرور بعض الوقت نبهته امرأة كانت تجلس إلى جواره في الركن – وكان الباص قد وصل إلى مخرج المدينة –إلى أنه قد فقد بعض العملات. قالت «هل هذه نقودك؟» وبينت له كيف أخرجت عملة محشورة ما بين المسند والمقعد. كانت هناك عملة أخرى على المقعد الأوسط ما بينه وبين المرأة، سنت أمريكي. أخذ بلوخ النقود مجيبا بأنه في الغالب قد فقد العملات أثناء التفاته. لكن لأن المرأة لم تلحظ أن بلوخ قد التفت. أخذت في سؤاله وكان بلوخ يجيبها، ورغم عدم جلوسهما بارتياح، دار بينهما مع الوقت بعض الحديث.

ومنع الحديث والإنصات بلوخ من أن يضع العملات في جيبه. لقد أصبحت دافئة في يده وكأنها سحبت من شباك تذاكر سينما. قال أن العملات قد تكون متسخة لأنها استخدمت قبل قليل لعمل القرعة في مباراة كرة قدم. وقالت المسافرة «أنا لا أفهم شيئا مما تقوله.» وفرد بلوخ الصحيفة بسرعة، فاستمرت هي في الحديث قائلة «صورة أم كتابة»، حتى أن بلوخ قد اضطر إلى طي الصحيفة مرة ثانية. عندما جلس قبل ذلك على المقعد الكائن فوق إطار السيارة، تمزقت عروة معطفه الذي علقه على شماعة المعاطف بجانبه وذلك نتيجة للحركة المفاجئة التي جلس بها على ذيل المعطف. جلس بلوخ بجانب المرأة واضعا معطفه على ركبتيه، دون أية حماية.

وأصبح الطريق أكثر سوءا. ولأن الباب المروحي لم يكن مغلقا بإحكام، رأى بلوخ أن الضوء الخارجي يضيء العربة بشكل متقطع عبر شق الباب المروحي. ودون أن ينظر إلى الشق، لاحظ الوهج المتقطع على أوراق الصحيفة. وقرأ سطرا بسطر. ثم نظر حوله وتأمل المسافرين الجالسين في الأمام. كلما كان مجلسهم أبعد كلما كان تأملهم ألطف. بعد بعض الوقت لاحظ توقف الوهج المتقطع في العربة. ساد الظلام في الخارج.

وأصيب بلوخ، الذي لم يكن معتادا على استيعاب كثير من التفاصيل، بصداع، وربما كانت رائحة الصحف الكثيرة التي لديه هي أيضا سبب في ذلك. لحسن الحظ توقف الباص في إحدى المدن الصغيرة، حيث يقدم للمسافرين وجبة ليلية بإحدى استراحات

الطرق. وأثناء تجول بلوخ في الخارج، استمع لمرات عديدة إلى حشرجة ماكينة السجائر الأوتوماتيكية في داخل الحانة.

ورأى عند المدخل كابينة تليفون مضيئة. كان هناك في أذنيه طنين باق من دوي الباص، حتى أن صوت قرقعة الحصى أمام الكابينة قد أراحه. ألقى بالصحيفة في سلة مهملات بجانب كابينة التليفون ثم قرر «أنني أتنازل عن هدف جيد!» لقد سمع أحدهم يقول ذلك في أحد الأفلام، أثناء وقوفه ليلا أمام النافذة.

لم يرد أحد. واستمع بلوخ الذي وقف مرة ثانية بالخارج في ظل كابينة التليفون إلى الرنين العالي لماكينات اللعب الأوتوماتيكية الموجودة خلف الستائر المغلقة لاستراحة الطريق. وعندما دخل إلى الحانة، تبين له أنها شبه خالية، فقد خرج معظم المسافرين. شرب بلوخ كوبا من البيرة واقفا وسار في الردهة: لقد جلس بعض المسافرين في الباص ووقف آخرون أمام الباب وتحدثوا مع السائق ووقف فريق أخر بعيدا وأولى ظهره للباص. ووضع بلوخ، الذي كان يكره هذه الملاحظات، يده على فمه. وبدلا من أن يكتفي فقط بالنظر في اتجاه آخر! نظر في اتجاه آخر ولمح في الردهة بعض المسافرين العائدين بأطفالهم من الحمامات. وعندما وضع يده على فمه كانت ليده رائحة المقبض المعدني لمسند المقعد. قال بلوخ لنفسه «هذا غير حقيقي.» صعد السائق وأعطى إشارة للآخرين بأن يصعدوا، بأن أدار الموتور. وفكر بلوخ «وكأنهم لم يفهموا الإشارة هكذا أيضا.» عند انطلاق العربة تناثر شرر السجائر الملقاة من نوافذ العربة على الطريق. لم يجلس أحد بجواره بعد ذلك. استند بلوخ إلى الركن

وفرد ساقيه على المقعد. فك رباط الحذاء واستند بظهره على النافذة الجانبية ونظر في اتجاه النافذة الآخرى. عقد يديه خلف قفاه وأزاح بقدمه بقايا خبز من على المقعد، ثم ضغط بذراعيه على أذنيه، ونظر إلى كوعيه. ضغط بباطن كوعيه على صدغيه وتشمم أكمام القميص. ثم حك ذقنه بأعلى ذراعه، استند برأسه للوراء ونظر إلى إضاءة السقف. لم يتوقف هذا الإحساس بعد! ولم يجد ما يعينه سوى أن يعود إلى الجلوس.

دارت ظلال الأشجار الواقفة خلف المنحدر أثناء مرور الباص بها حول الأشجار. ولم تشر ممسحتا زجاج الباص المثبتتان على حاجز الرياح إلى نفس الاتجاه تماما. وبدت حقيبة التذاكر بجانب السائق مفتوحة. كان هناك شيء يشبه القفاز في الممر الأوسط للعربة. ونامت الأبقار في المراعي على جانب الطريق. لم يكن الإنكار يفيد.

أخذ عدد الركاب الذين ينزلون في المحطات الاختيارية يزداد تدريجيا. كانوا يقفون إلى جوار السائق الذي يسمح لهم بالنزول. عندما توقف الباص سمع بلوخ صوت رفرفة الغطاء البلاستيكي على سطحه. ثم توقف الباص ثانية وسمع في الخارج نداءات تحية. ثم تعرف بعد ذلك في الطريق على مزلقان قطار بدون حواجز.

وصل الباص إلى منطقة الحدود قبل منتصف الليل بقليل. وفي الفندق الذي به محطة الباص حصل بلوخ مباشرة على غرفة. وسأل الفتاة التي قادته إلى الغرفة بأعلى عن هذه الصديقة التي كان يعرف اسمها الأول فقط وهو هيرتا. واستطاعت الفتاة أن تمده

بمعلومات عنها: استأجرت الصديقة مطعما بمكان بعيد بعض الشيء عن المنطقة. سأل بلوخ الواقف في الغرفة الفتاة التي تقف عند الباب، ماذا تعني هذه الجلبة؟ أجابت الفتاة «بعض الأطفال يلعبون البولنج» وخرجت من الغرفة. ودون أن يجول بنظره في الغرفة، خلع بلوخ ملابسه وغسل يديه ورقد في السرير. ورغم استمرار أصوات القرع والدق بأسفل لبعض الوقت فقد نام بلوخ.

ولم يستيقظ من تلقاء نفسه، بل أن شيئا ما قد أيقظه. لقد كان كل شيء ساكنا: فكر بلوخ فيما يمكن أن يكون سببا لاستيقاظه. بعد بعض الوقت بدأ في تخيل أن طي إحدى الصحف قد أفزعه. أو هل كان ذلك صوت فتح الدولاب عنوة؟ أو أن عملة قد سقطت من البنطلون الملقى بإهمال على الكرسي وجرت تحت السرير. ورأى على الحائط لوحة نقش على معدن تصور المنطقة أثناء الحروب التركية. سار المواطنون أمام الأسوار وخلفها تعلق الجرس في برج الأجراس بشكل مائل، بحيث لا بد للمرء أن يعتقد أنه دق بشدة. وفكر بلوخ في أن قارع الأجراس قد رُفع بحبل الأجراس إلى أعلى. ورأى أن الناس في الخارج قد توجهوا جميعا إلى باب السور، بعضهم جروا حاملين أطفالا على الأذرع، وانتفض كلب بين ساقي أحد الأطفال، حتى بدا أن الطفل قد تعثر. وحتى جرس الطوارئ في برج الكنيسة كان منقوشا بطريقة تجعله يبدو على وشك السقوط. تحت السرير لم يكن هناك سوى عود ثقاب محترق. وفي الردهة بالخارج، بعيدا عن هنا، تحشرج مفتاح في كالون الباب. كان ذلك في الغالب هو سبب استيقاظه.

وسمع بلوخ أثناء الإفطار أن تلميذا معوقا قد فقد منذ يومين. حكت الفتاة ذلك لسائق الباص الذي بات بالفندق، ورآه بلوخ من النافذة قبل أن يعود بالباص خاويا إلى حد كبير. بعد ذلك ذهبت الفتاة أيضا، حتى أن بلوخ بقي لوقت طويل وحيدا بصالة الإفطار. كانت هناك أكوام من الجرائد بجانبه: وقرأ أن الأمر لا يتعلق بتلميذ كسيح بل بتلميذ أبكم. فور عودة الفتاة قالت له على سبيل التوضيح أنه سيتم شفط التراب بالمكنسة الكهربائية في الدور العلوي فوقه. ولم يعرف بلوخ ما ينبغي عليه قوله إزاء مقولتها. وجلجل صوت زجاجات البيرة الخاوية في الصناديق المحمولة عبر الفناء بالخارج. سمع بلوخ أصوات حمالي البيرة في الردهة وكأنها آتية من جهاز تليفزيون. قالت له الفتاة أن أم صاحب الفندق تجلس في الغرفة المجاورة وتشاهد برنامج عمال الورديات.

بعد ذلك اشترى بلوخ من محل للبضائع المتنوعة قميصا وغيارات داخلية وبعض الجوارب. وبدا أن البائعة التي أتت بعد فترة من المخزن ذو الإضاءة الشحيحة، لم تفهم بلوخ الذي تحدث إليها في جمل كاملة. أولا لأنه عندما بدأ يعدد لها طلباته طلبا طلبا، أخذت تتحرك عن موضعها. وعندما سحبت درج الخزينة قالت أنه قد وصلت إلينا أيضا أحذية مطاطية ذات رقبة. وحتى أثناء إعطاءه الأشياء في كيس بلاستيكي سألته إذا كان يحتاج شيئا آخر: مناديل جيب؟ رابطة عنق؟ جاكت صوف؟ في الفندق غير بلوخ ملابسه وحشر الملابس القديمة في الكيس البلاستيكي. لم يكد يقابل أحدا في الطريق إلى خارج المنطقة. بجانب أحد المباني

الجديدة توقفت ماكينة خلط المونة لتوها عن العمل. لقد كل شيء ساكنا حتى أن بلوخ قد ظن أنه لم يعد يسمع خطواته. ظل واقفا وتأمل الأغطية السوداء على أكوام الخشب الخاصة بورشة لتقطيع الأخشاب وكأن هناك شيئا أخر يمكن سماعه غير همهمات عمال الورشة الذين جلسوا، أغلب الظن، لتناول غداءهم خلف أكوام الخشب.

وقد وصفوا له أن المطعم يقع بجوار بعض بيوت الفلاحين ومكتب الحماية الجمركية عند منحنى الطريق الإسفلتي الذي يؤدي ثانية إلى المنطقة، ومن الشارع يتفرع طريق مسفلت بتساو ما بين البيوت، لكنه مفروش فقط بالحصى بعد ذلك وهذا الطريق يستمر بعد ذلك عبر قنطرة قبل الحدود بمسافة قصيرة ومعبر الحدود مغلق. حقيقة لم يسأل بلوخ مطلقا عن معبر الحدود.

رأى صقرا يحلق فوق أحد الحقول. وعندما رفرف الصقر فوق موضع ما وأخذ في الهبوط، لاحظ بلوخ أنه لم يراقب رفرفة وهبوط الطائر بل ركز بالأحرى على الموضع المفترض أن يحط فيه الطائر، وعدل الصقر عن هبوطه وأخذ في الارتفاع ثانية.

والغريب أيضا أنه أثناء مرور بلوخ بحقل الذرة لم ينظر خلال الطرق المتفرقة الممتدة حتى نهاية حقل الذرة الآخر، بل نظر عبر الدغل الكثيف من سيقان وأوراق وكيزان الذرة التي ظهرت كذلك حبوبها المكشوفة في أماكن متفرقة. كذلك؟ كان صوت هدير الجدول الجاري أسفل الشارع مباشرة عاليا نسبيا وصمت بلوخ.

وفي المطعم التقى بالنادلة التي كانت تمسح لتوها الأرضية.

وسأل عن المستأجرة. قالت النادلة «إنها نائمة.» طلب بلوخ بيرة واقفا. سحبت النادلة كرسيا من جانب المائدة. أخذ بلوخ الكرسي الثاني من جانب المائدة وجلس.

ذهبت النادلة خلف البار. وضع بلوخ يديه على المائدة. انحنت النادلة وفتحت الزجاجة. أبعد بلوخ مطفأة السجائر. أخذت النادلة أحد الأغطية الورقية التي توضع تحت أكواب البيرة من مائدة أخرى. رجع بلوخ بالكرسي إلى الوراء. أخذت النادلة الكوب من فوق الزجاجة، حيث كان منكسا عليها ثم وضعت الغطاء الورقي على المائدة ووضعت الكوب فوقها ثم صبت محتوى الزجاجة داخل الكوب ووضعت الزجاجة على المائدة ومضت. وبدأت القصة من جديد! لم يعد بلوخ يعرف ما الذي ينبغي عليه أن يفعله.

أخيرا نظر إلى قطرة كانت تسيل على الكوب من الخارج وإلى ساعة على الحائط مصنوعة عقاربها من عودي ثقاب. أحد العودين كان مكسورا ويعمل كعقرب للساعات. لم ينظر إلى القطرة السائلة بل إلى الموضع الذي يمكن أن تسقط عليه القطرة على الغطاء الورقي. وسألته النادلة التي كانت تنظف الأرضية بمعجون ما، إن كان يعرف النادلة. أومأ بلوخ، ثم قال نعم بعد أن نظرت إليه النادلة.

ودخلت طفلة جريا دون أن تغلق الباب. أعادتها النادلة إلى المدخل ثانية لكي تمسح حذائها، وأغلقت الطفلة الباب بعد أن حذرتها النادلة. أوضحت النادلة التي أدخلت الطفلة إلى المطبخ «ابنة صاحبة المطعم!» وعندما عادت قالت أن رجلا جاء إلى صاحبة المطعم قبل عدة أيام. «لقد ادعى أنه قد طُلب لحفر بئر. وأرادت

صاحبة المطعم أن تصرفه في الحال ولكنه لم يذهب حتى نزلت به إلى القبو وهناك أمسك مباشرة بجاروف الحفر، فطلبت العون من آخرين، حتى يذهب...» وتمكن بلوخ أخيرا من مقاطعة النادلة. «لذلك تخاف الطفلة من عودة حفار الآبار.» أثناء ذلك دخل أحد موظفي الجمارك وشرب على البار كأسا من العرق.

وسألت النادلة عما إذا كان الطفل المفقود قد عاد إلى منزله أم لا؟ وأجاب موظف الجمارك: «لا، لم يجدوه بعد»

قالت النادلة «على أي حال لم يتعد غيابه اليومين»، ورد موظف الجمارك «لكن الليالي باردة»

قالت النادلة «لكنه يرتدي ملابس ثقيلة»، وقال موظف الجمارك، نعم أنه يرتدي ملابس ثقيلة.

قال موظف الجمارك «لا يمكن أن يكون بعيدا عن هنا»، وكررت النادلة أنه لا يمكن أن يكون بعيدا عن هنا. ولمح بلوخ فوق جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي قرن أيل مكسوراً. وأوضحت النادلة أن القرن لأيل أخطأ طريقه في حقل ألغام.

وسمع ضجة بالمطبخ، تبين له حين استرق السمع أنها أصوات بشرية. ونادت النادلة عبر الباب المغلق. وأجابت المستأجرة من المطبخ. وتحدثتا بهذه الطريقة بعضا من الوقت، حتى دخلت المستأجرة أثناء أحد الردود وحياها بلوخ.

جلست على مائدته ولكن ليس بجانبه، بل أمامه، وضعت يديها على ركبتيها تحت المائدة. استمع بلوخ عبر الباب المفتوح إلى أزيز الثلاجة في المطبخ. جلست الطفلة بجوار الثلاجة وأكلت خبزا.

تأملته المستأجرة وكأنها لم تره منذ زمن وقالت «لم نتقابل منذ زمن بعيد!» وحكى لها بلوخ قصة تتعلق بسبب إقامته هنا. وعلى البعد عبر الباب رأى الطفلة جالسة في المطبخ. وضعت المستأجرة يديها على المائدة وأخذت في فتح كفيها وضمهما. أحضرت النادلة المشروب الذي طلبه لها. لأي «منهما؟» اهتزت الثلاجة في المطبخ الذي أصبح خاليا في هذه الأثناء. ونظر بلوخ إلى قشور التفاح الموضوعة على مائدة المطبخ. تحت المائدة كان هناك وعاء مليء بثمار التفاح. انزلقت بعض التفاحات وانتشرت على الأرضية هنا وهناك. كان هناك بنطلون عمل معلّق على مسمار بإطار الباب. وضعت المستأجرة مطفأة السجائر ما بينهما. أزاح بلوخ الزجاجة إلى جانب، لكنها وضعت علبة أعواد الثقاب أمامها وكذلك كوبها. أخيرا أزاح بلوخ كوبه وزجاجته إلى يمينه. ضحكت هيرتا.

دخلت الطفلة واستندت على الكرسي خلف المستأجرة. لقد أرسلوها لتحضر حطبا للمطبخ، لكنها أسقطت إحدى قطع الحطب عندما حاولت فتح الباب بإحدى يديها. جمعت النادلة الخشب وحملته إلى المطبخ في حين استندت الطفلة على الكرسي خلف المستأجرة. وظن بلوخ أن هذه الأحداث قد يمكن استخدامها ضده.

وطرق أحدهم من الخارج على النافذة ثم ابتعد بسرعة. قالت المستأجرة، أنه ابن صاحب الضيعة. ثم مر بعض الأطفال بالخارج وجاء أحدهم وضغط وجهه على زجاج النافذة ثم انصرف. وقالت المستأجرة «لقد انتهى العام الدراسي.» وأظلم المكان بالداخل بعد

ذلك لأن سيارة لنقل الأثاث قد صفت بالشارع. وقالت المستأجرة: «لقد أتى أثاثي.» وسر بلوخ أنه يستطيع النهوض والعون في نقل الأثاث إلى الداخل.

وأثناء نقل الأثاث فُتح باب الخزانة. وأغلقه بلوخ بركلة من قدمه. وعندما استقرت الخزانة في حجرة النوم انفتح بابها ثانية. أعطى أحد الحمالين مفتاح الخزانة لبلوخ فأغلقها. وقال بلوخ أنه ليس المالك. وتدريجيا كلما قال شيئا تخيل نفسه فيه. دعته المستأجرة إلى الطعام ورفض بلوخ الذي لم ينو مطلقا الإقامة عندها. لكنه أراد أن يأتي في المساء. وردت عليه هيرتا التي تحدثت من داخل الغرفة التي بها الأثاث، وقت خروجه، على أية حال فقد ظن أنها تنادي وعاد إلى المطعم لكنه نظر فقط عبر الأبواب المفتوحة، رأى النادلة تقف أمام الموقد في المطبخ بينما تضع المستأجرة الملابس في الخزانة والطفلة جالسة على أحد موائد المطعم وتقوم بعمل واجبات المدرسة. أغلب الظن أنه قد خلط فوران الماء على الموقد بالنداء.

لم يكن بإمكانه رؤية أي شيء في حجرة التفتيش الجمركي، برغم أن النافذة كانت مفتوحة، كانت الحجرة من الخارج مظلمة جدا. لكن من المؤكد أن من بالداخل كان يستطيع رؤيته، لقد لاحظ ذلك حتى أنه قد كتم أنفاسه أثناء المرور. هل من الممكن ألا يكون بالحجرة أحد، رغم أن النافذة كانت مفتوحة عن أخرها؟ لماذا «برغم أن؟» هل من الممكن ألا يكون هناك أحد بالحجرة لأن النافذة كانت مفتوحة؟ نظر بلوخ مرة ثانية: أبعد شخص بداخل الغرفة زجاجة بيرة من على حافة النافذة لكي يتمكن من رؤيته. سمع

ضجة تشبه جريان زجاجة تحت كنبة. من ناحية أخرى لم يكن من المتوقع أن تكون هناك كنبة في حجرة التفتيش الجمركي. وتبين له بعد أن ابتعد عن الحجرة أنه قد تم تشغيل جهاز راديو. وسار بلوخ في المنحنى الذي يقود إلى المنطقة ثانية. وفجأة بدأ يسير بارتياح. فقد قاده الشارع بوضوح ويسر إلى داخل المنطقة.

تمشى لوقت طويل بين البيوت. وضغط على زر تشغيل الأسطوانات في أحد المقاهي. بعد أن قام صاحب المقهى بتشغيل جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي، وانصرف قبل الانتهاء من تشغيل كل الاسطوانات. عندما خرج، سمع صاحب المقهى يسحب القابس. جلس بعض الأطفال على الدكك في انتظار باص المدرسة.

ظل واقفا أمام كشك للفاكهة، لكنه وقف بعيدا كي لا تتمكن المرأة الواقفة خلف الفاكهة أن تخاطبه. لقد نظرت إليه وانتظرت أن يقترب. وقال طفل وقف أمامه شيئا، لكن السيدة لم ترد عليه. ولكن عندما جاء أحد حراس الحدود ووقف قريبا جدا من الفاكهة، تحدثت المرأة إليه في الحال.

لم يكن بالمنطقة كابينة تليفون. حاول بلوخ الاتصال بصديق من مكتب البريد. جلس بلوخ منتظرا على أحد الدكك بصالة الزبائن لكن المكالمة لم تأت. هناك تحميل شديد على الخطوط في هذه الفترة من اليوم. سب بلوخ الموظفة وانصرف.

وعندما مر بحمام سباحة في خارج المنطقة رأى اثنين من حراس الحدود قادمين في اتجاهه بدراجتيهما. وقال لنفسه، بعباءات!

بالفعل ارتدى الحارسان عباءات عندما توقفا أمامه: وحتى عندما نزلا من فوق الدراجة لم يخلعا أربطة السراويل الخاصة بقيادة الدراجات. تخيل بلوخ ثانية أنه ينظر إلى «موزيك بوكس»، وكأنه رأى كل ذلك من قبل. ولم يترك البوابة المؤدية إلى مدخل الحمام برغم أنها مغلقة. قال بلوخ «الحمّام مغلق.»

وقد قام الحارسان بعمل الملاحظات المعهودة لكن على ما يبدو قد قصدوا بها شيئا مختلفا تماما. فمثلا نطقوا عن قصد كلمات مثل «انصرف!» أو «انتبه» نطقا خاطئا بحيث سمعها بلوخ على أنها «طريق السير» وماعز بيشر، وقالوا أيضا عن عمد «الانتهاء في الوقت المناسب» بدلا من «أبرئ نفسك» و«دهان بالأبيض» بدلا من «بطاقتك الشخصية.*» فما هو الغرض من أن يحكي له الحارسان عن ماعز الفلاح بيشر التي دخلت ذات مرة، عندما كان الباب مفتوحا، حمام البلدية، الذي لم يكن قد افتتح بعد، ووسخت كل شيء هناك حتى الجدران ومقهى الحمام، حتى أنه وجب دهان الحجرات مرة أخرى باللون الأبيض ولم يتم الانتهاء من إعداد الحمام في الوقت المناسب. ولماذا يجب على بلوخ أن يترك الباب المغلق ويمشي في طريق السير؟ كم كانت ساخرة أيضا تحيات الحراس المعتادة عندما استكملوا سيرهم، أو هل كانت هذه التحيات مجرد تلميح إلى أنهما يعنيان بها شيئا ما. لم ينظرا إلى الخلف. ولكي يبين بلوخ أنه ليس لديه ما يخفيه، ظل واقفا أمام السور ونظر إلى داخل الحمام الفارغ؛ وقال بلوخ لنفسه «مثل

* المقصود هنا التلاعب اللفظي في نطق كلمات متشابهة في اللغة الألمانية لكنها تؤدي معنى أخر. المترجم

خزانة مفتوحة، دخلت إليها وأحضرت منها ما أريد.» ولم يتذكر ماذا كان يبغي في حمام السباحة. وفوق ذلك كله، ساد الظلام؛ كانت لافتات مباني البلدية مضاءة. عاد بلوخ إلى المنطقة. وعندما مرت أمامه فتاتان كانتا في طريقهما للمحطة، نادى عليهما. التفتتا إليه وردتا عليه أثناء سيرهما. كان بلوخ جائعا. أكل في الفندق بينما كان هناك صوت تليفزيون في الحجرة المجاورة. بعد ذلك، ذهب بكوبه إلى هناك وشاهد التلفزيون حتى ظهر اختبار الشاشة عند نهاية الإرسال. أخذ مفتاح الغرفة وصعد إلى أعلى. وظن في غفوته سماع صوت سيارة غير مضاءة تبدأ في التحرك. وحاول بلا جدوى أن يعرف، لماذا خطرت بباله سيارة غير مضاءة؛ لا بد أنه قد راح في النوم أثناء تفكيره في ذلك.

صحا بلوخ على صوت الأنفاس الثقيلة والضجة الناتجة من تفريغ صناديق القمامة في السيارات المخصصة لنقلها؛ لكن عندما نظر إلى الخارج، رأى أن الضجة ليست ناتجة من تفريغ صناديق القمامة، بل من إغلاق الباب المروحي للباص الذي انطلق لتوه، ومن وضع أواني الحليب على رصيف الشحن الخاص بمعمل الألبان؛ هنا بالريف لم تكن هناك سيارات لنقل القمامة؛ وبدأ سوء التفاهم مرة ثانية.

ورأى بلوخ الفتاة عند الباب وبيدها مجموعة من الفوط وضعت فوقها بطارية جيب؛ خرجت ثانية إلى الممر، قبل أن يتمكن من إظهار نفسه لها. اعتذرت عبر الباب، لكن بلوخ لم يفهم ما قالته لأنه قال لها شيئا في ذات الوقت. تبعها في الممر؛ وكانت قد دخلت إلى غرفة

أخرى؛ أغلق بلوخ غرفته بطريقة ملفتة بأن أدار المفتاح في الكالون مرتين. بعد ذلك ذهب وراء الفتاة وكانت قد دخلت إلى عدة غرف أخرى وأوضح لها أن هناك سوء تفاهم، وأجابت الفتاة أثناء وضعها لأحد الفوط فوق الحوض، نعم، هناك سوء تفاهم، فلا بد أنها قد خلطت بينه وبين سائق الباص الذي كان بنهاية الممر عند السلم، حتى أنها ظنت أن بلوخ قد غادر الغرفة وأنها تستطيع الدخول إلى غرفته. وقال بلوخ الذي وقف عند الباب المفتوح، أنه لم يقصد ذلك. لكنها فتحت الصنبور في هذه الأثناء، لذلك طلبت منه إعادة الجملة. قال بلوخ أن بالغرف خزانات وصحاحير وكومودينات كثيرة جدا جدا. وردت الفتاة نعم، لكن الفندق لديه عدد قليل جدا من العاملين، وكان إرهاقها هو السبب في الالتباس الذي حدث لها من قبل. وأجاب بلوخ أنه لم يقصد ذلك بملاحظته عن الخزانات، بل عنى أن المرء لا يستطيع التحرك في الغرف بشكل صحيح. وسألته الفتاة ماذا يقصد بذلك؟ لم يجب بلوخ. فسرت صمته بأن كورت الفوطة المتسخة أو بمعنى أصح فهم بلوخ تكويرها للفوطة على أنه رد على صمته. تركت الفوطة تسقط في السلة؛ لم يجب بلوخ مرة ثانية، وهذا ما دعاها، حسب اعتقاد بلوخ، إلى فتح الستائر حتى أنه خرج بسرعة إلى الممر المظلم. وقالت الفتاة «لم أقصد ذلك!» ذهبت وراءه إلى الممر، لكن بلوخ تبعها بعد ذلك أثناء توزيعها للفوط على الحجرات الباقية. عند انحناءة بالممر اصطدما بكومة من ملاءات السرير المتسخة الموضوعة على الأرض. وحينما حاول بلوخ أن يتفادى الملاءات سقطت من الفتاة

علبة صابون كانت فوق كومة الفوط. سألها بلوخ عما إذا كانت تحتاج إلى بطارية جيب في طريق العودة إلى المنزل؟ وأجابت الفتاة التي رفعت رأسها بوجه تشوبه الحمرة أن لديها صديق. سأل بلوخ عما إذا كان هناك بالفندق غرف بأبواب مزدوجة؟ وأجابت الفتاة «صديقي نجار.» قال بلوخ أنه رأى بأحد الأفلام لصا قد احتجز بين الأبواب المزدوجة. قالت الفتاة «لم يحدث أن ضاع شيء من حجراتنا!»

قرأ بالجريدة في صالة الاستقبال أنه قد وُجد بجانب المحصلة عملة أمريكية صغيرة، خمس سنتات. ولم ير معارف المحصلة مثل هذه العملة مع الجنود الأمريكيين؛ في ذلك الوقت لم يكن بالبلاد إلا قليلا من السياح الأمريكيين. إضافة إلى ذلك تم العثور على شخبطات على حافة إحدى الصحف، كتلك الشخبطات التي يكتبها المرء أثناء استغراقه في الحديث مع شخص أخر، ومن الواضح أن هذه الشخبطات ليست بخط المحصلة؛ وقد تم فحص ما إذا كان لهذه الشخبطات أن تفصح عن هوية الزائر.

جاء صاحب الفندق إلى بلوخ ووضع أمامه استمارة التسجيل؛ لقد كانت موجودة طوال الوقت بغرفة بلوخ. ملأ بلوخ الاستمارة. وقف صاحب الفندق بعيدا بعض الشيء ونظر إلى بلوخ. بالخارج، في ورشة تقطيع الأخشاب، التقى المنشار الآلي بالخشب. استمع بلوخ إلى هذا الضجيج وكأنه يستمع إلى شيء ممنوع.

بدلا من أن يذهب صاحب الفندق، وفقا للتتابع الصحيح، بالورقة وراء مكتب الاستقبال، ذهب إلى الحجرة المجاورة وتحدث

بالداخل، كما رأى بلوخ، مع أمه؛ وبدلا من أن يخرج من الحجرة بسرعة، لأنه ترك الباب مفتوحا، استمر في حديثه، بل وأغلق الباب. وخرجت المرأة العجوز من الحجرة بدلا من صاحب الفندق. لم يتبعها صاحب الفندق بل بقى بالحجرة المجاورة وأزاح الستائر وقام بتشغيل المروحة.

دخلت الفتاة صالة الاستقبال من الناحية الأخرى ومعها المكنسة الكهربية. توقع بلوخ كأمر طبيعي أن يراها تخرج بالمكنسة الكهربية إلى الشارع؛ بدلا من ذلك وصلتها بالمقبس وأخذت تدفع بها تحت الكراسي والموائد. وعندما أغلق صاحب الفندق الستائر وعادت أمه إلى حجرتها وقام بإغلاق المروحة، بدا لبلوخ وكأن الأشياء قد أخذت أوضاعها الطبيعية ثانية.

وسأل صاحب الفندق إن كانت هناك صحف كثيرة متداولة بالمنطقة. أجاب صاحب الفندق «فقط الجرائد الأسبوعية والمجلات المصورة.» حشر بلوخ الذي طرح هذا السؤال أثناء خروجه، ذراعه بين الباب والمقبض، لأنه ضغط بكوعه على مقبض الباب. نادت الفتاة وراءه «هذا هو السبب!» وسمع بلوخ صاحب الفندق يسألها عما تعنيه بذلك.

وكتب بعض البطاقات البريدية لكنه لم يلقها مباشرة في صندوق البريد. وعندما أراد بعد ذلك أن يضعها في صندوق بريد معلق على سور خارج المنطقة، أكتشف أن الصندوق لن يتم تفريغه قبل اليوم التالي. منذ أن ذهب مع فريقه إلى أحد الدورات الكروية بأمريكا الجنوبية وكان عليهم أن يبعثوا إلى الصحف بطاقات بريدية

بتوقيعات كل اللاعبين، تعود بلوخ على كتابة البطاقات البريدية، عندما يكون مسافرا.

مر به تلاميذ فصل دراسي؛ غنى الأطفال وألقى بلوخ بالبطاقات البريدية في الصندوق. عندما تسقط البطاقات البريدية في صناديق البريد الفارغة تصدر دويا. لكن هذا الصندوق كان صغيرا، بحيث لا يمكن له أن يصدر هذا الدوي. ثم إن بلوخ قد أكمل سيره في الحال.

مشى مدة من الوقت عبر الحقول. أخذ إحساسه بأن كرة مثقلة بالمطر قد سقطت على رأسه في التلاشي. بدأت الغابة على مقربة من الحدود. عاد أدراجه عندما تعرف على برج المراقبة الأول على الناحية الأخرى من حاجز المنطقة المحايدة. جلس على جزع شجرة بحافة الغابة. ثم نهض في الحال. ثم جلس ثانية وعد نقوده. رفع رأسه. وانتفخت الطبيعة، برغم استواءها، مقتربة منه جدا، حتى بدا أنها تقصيه عن مكانه. لقد كان هنا بطرف الغابة، كان هناك مبنى محول كهربي، كان هناك كشك لبيع الألبان، كان هناك حقل، كان هناك بعض الأشكال، كان هو هناك بطرف الغابة. جلس ساكنا، حتى أنه نفسه لم يعد ملحوظا لنفسه. لاحظ بعد ذلك أن الأشكال في الحقل كانت حراسا برفقة كلابهم.

بجانب إحدى شجيرات ثمرة العُلّيق، وتحت ثمار العُلّيق وجد بلوخ دراجة أطفال. أوقفها. كان كرسي الدراجة مرفوعا بشكل عال نسبيا، كما لو كان ذلك من أجل شخص بالغ. كانت بعض أشواك العُلّيق قد دخلت بإطار الدراجة دون أن يخرج منه الهواء.

واشتبك أحد أغصان الشربين بأسلاك الدولاب بحيث أعاق حركة الدراجة. نزع بلوخ الغصن. ثم ترك الدراجة تسقط بحيث يمكن للحراس أن يروا في الشمس، عن بعد، انعكاسات غطاء كشاف الدراجة. لكن الحراس كانوا قد أكملوا سيرهم برفقة الكلاب.

نظر بلوخ إلى الأشخاص الذين نزلوا أحد المنحدرات؛ ومضت رخص الكلاب وأجهزة اللاسلكي. هل يُنبئ هذا الوميض بشيء ما؟ هل كانت هذه إشارات ضوئية؟ بالتدريج فقد الوميض معناه: على بعد من هنا لمعت أغطية كشافات السيارات عند تحول اتجاه الشارع وبجانب بلوخ لمعت شظايا مرآة جيب، توهج الطريق من أثر الأحجار اللامعة. انزلق الحصى تحت إطاري الدراجة عندما ركبها بلوخ.

سار بالدراجة لمسافة قصيرة. وفي النهاية أسند الدراجة إلى مبنى المحول الكهربي وأكمل سيره. قرأ إعلان السينما المثبت بدبابيس على كشك بيع الألبان؛ الإعلانات الأخرى الموجودة أسفله كانت ممزقة. واصل بلوخ سيره ورأى بحوش أحد البيوت الريفية طفلا أصابه الفواق. رأى في حديقة فواكه زنابير محلقة. وعند أحد تقاطعات الطرق كانت هناك زهور فاسدة داخل علب محفوظات. فوق النجيل بجانب الطريق كانت هناك علب سجائر فارغة. رأى بجانب النوافذ المغلقة الخطافات المدلاة من درف النوافذ. عندما مر بأحد النوافذ المفتوحة شم رائحة شيء عفن. في المطعم أخبرته المستأجرة أن شخصا ما قد توفى بالأمس في البيت المقابل.

عندما أراد بلوخ أن يتبعها إلى داخل المطبخ، جاءت إليه عند

الباب ومرت أمامه في اتجاه صالة المطعم. سبقها بلوخ وذهب إلى مائدة بأحد الأركان، لكنها جلست على أحد الموائد بالقرب من الباب. عندما أراد بلوخ البدء في الحديث، اعترضته المستأجرة في الحال. كان يريد أن ينبهها إلى أن النادلة ترتدي أحذية طبية، لكن المستأجرة أشارت إلى الشارع حيث مر أحد الحراس وكان يجر دراجة أطفال. قالت «هذه هي دراجة الطفل الأبكم.»

وجاءت إليهم النادلة وبيدها مجلة مصورة؛ نظروا جميعا إلى الخارج. سأل بلوخ إن كان حفار الآبار قد جاء ثانية. وبدأت المستأجرة التي لم تفهم من العبارة سوى «أبلغ عن حضوره*» في الحديث عن الجنود. وقال بلوخ بدلا من جاء ثانية «رجع» وتحدثت المستأجرة عن التلميذ الأبكم. قالت النادلة «لم يكن بإمكانه حتى أن يصرخ طالبا النجدة» أو بالأصح كانت تقرأ أحد العناوين أسفل صورة بالمجلة المصورة. حكت المستأجرة عن فيلم اختلطت فيه مسامير بعجين التورتة. سأل بلوخ إن كان لدى الحراس في أبراج المراقبة نظارات معظمة؛ عموما هناك شيء يلمع لديهم بأعلى. أجابت المرأتان «لا يمكن رؤية أبراج الحراسة من هنا.» رأى بلوخ أن بوجهيهما دقيق من عجين التورتة، وبخاصة على الحواجب و على منبت الشعر على الجبهة. خرج إلى الفناء، وحينما لم يتبعه أحد عاد ثانية. استند على جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي تاركا بجانبه مكان لشخص آخر. كسرت النادلة الجالسة خلف البار كوبا. وخرجت المستأجرة من المطبخ على أثر الضجة، لكنها لم تنظر

* يفيد فعل zurueckmelden في الألمانية عدة معان منها جاء أو اتصل ثانية أو بلغ حضوره. المترجم

إلى النادلة بل نظرت إليه. خفض بلوخ صوت جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي. بعد ذلك، وأثناء وقوف المستأجرة بالباب قام بتعلية الصوت مرة ثانية. مرت المستأجرة أمامه عبر صالة المطعم وكأنها تريد أن تذرع الصالة جيئة وذهابا. سألها بلوخ عن المبلغ الذي يجب أن تدفعه كإيجار لصاحب المطعم، صاحب الضيعة. عندما سألها هذه السؤال بقيت هيرتا واقفة. وكنست النادلة قطع الزجاج المكسورة على جاروف. ذهب بلوخ باتجاه هيرتا، لكن المستأجرة مرت من أمامه ذاهبة إلى المطبخ. تبعها بلوخ. ولأن هناك قطة راقدة على الكرسي الثاني، ظل واقفا بجانبها. تحدثت عن ابن صاحب الضيعة، إنه صديقها. وقف بلوخ أمام النافذة وأخذ يستقصيها عنه. وصفت له ما فعله ابن صاحب الضيعة. وبدون أن يسألها استمرت في الحديث. على طرف الموقد لمح بلوخ برطمانا ثانيا لحفظ الطعام. وكان يقول من وقت لآخر: نعم؟ لمح في بنطلون العمل المعلق على إطار الباب مقياس سنتيمترات ثان. قاطعها وسألها بأي رقم من الأرقام تبدأ العد. توقفت عن الكلام، بل وعن فصل قلوب بذور التفاح عن ثمار التفاح. قال بلوخ إنه لاحظ بنفسه منذ قليل عادة البدء بالرقم اثنين عند العد؛ فمثلا اليوم في الصباح وأثناء عبوره للشارع كان على وشك أن تدهسه سيارة لأنه ظن أن لديه وقت حتى تأتي السيارة الثانية؛ ببساطة لم يأخذ العربة الأولى في الحسبان. أجابت المستأجرة بأحد الأمثال الشعبية.

راح بلوخ إلى الكرسي ورفعه من الخلف بحيث قفزت القطة من عليه. جلس علي الكرسي لكنه أبعده عن المائدة. أثناء تحريكه

للكرسي اصطدم بالمائدة التي توضع عليها الصحون والأكواب غير النظيفة، في الخلف سقطت زجاجة بيرة وانزلقت تحت كنبة المطبخ. سألته المستأجرة لماذا يقوم دوما بالجلوس ثم النهوض ثم الانصراف ثم الوقوف ثم العودة؟ هل يريد بذلك الاستهزاء بها؟ بدلا من أن يرد عليها قرأ بلوخ نكتة من الصحيفة المفروشة في سلة المهملات المخصصة لقشور وبذور التفاح. ولأن الصحيفة كانت موضوعة بالمقلوب قرأ بلوخ بتعثر حتى أن المستأجرة تولت عنه مهمة القراءة حينما انحنت. ضحكت النادلة بالخارج. في داخل حجرة النوم سقط شيء ما على الأرض. لم يتبع ذلك أي ضجيج ثان. وأراد بلوخ الذي لم يسمع أيضا قبل ذلك أي ضجيج، أن يعرف مصدر الضجيج؛ لكن المستأجرة أوضحت له، أن الطفلة قد استيقظت؛ لقد نزلت من فوق السرير الآن وفي الغالب أنها ستخرج الآن من الغرفة وتأتي لتطلب قطعة من الجاتوه. في الواقع أن بلوخ سمع صوتا كما النهنهة. اتضح أن الطفلة قد سقطت من فوق السرير ولم تستطع أن تقوم من مكانها على الأرض بجانب السرير. حكت الطفلة في المطبخ أن هناك بعض الذباب تحت الوسادة. أوضحت المستأجرة لبلوخ أن أطفال الجيران ينامون عندها أثناء فترة وجود نعش الميت بمنزلهم وأن لديهم عادة ضرب الذباب على الحائط بالأربطة المطاطية لبرطمانات حفظ الطعام؛ وأنهم قد وضعوا الذباب الساقط على الأرض تحت الوسادة.

بعد أن وضعت بعض الأشياء في يد الطفلة - الأشياء الأولى تركتها تسقط - هدأت الطفلة شيئا فشيئا. رأى بلوخ النادلة قادمة

من غرفة النوم بيد فارغة وأنها ألقت بذباب في سلة المهملات. قال بلوخ أنه لا ذنب له في ذلك. رأى عربة الخباز تقف بالخارج أمام بيت الجيران وأن السائق وضع رغيفين من الخبز أمام عتبات باب البيت، بالأسفل رغيف أسود وفوقه رغيف أبيض. أرسلت المستأجرة الطفلة إلى الرجل الواقف عند الباب؛ سمع بلوخ النادلة على البار وهي تترك الماء ينساب على يديها؛ قالت المستأجرة أنه يداوم على الاعتذار في الآونة الأخيرة. قال بلوخ، حقا؟ بعد ذلك مباشرة دخلت الطفلة برغيفي خبز إلى المطبخ. لقد رأى أيضا أن النادلة تمسح يديها في المريلة أثناء ذهابها إلى أحد الزبائن. ماذا يريد أن يشرب؟ أجاب، من؟ حاليا، لاشيء. أغلقت الطفلة الباب المؤدي إلى صالة المطعم.

قالت هيرتا «نحن الآن وحدنا.» نظر بلوخ إلى الطفلة الواقفة أمام النافذة تنظر إلى بيت الجيران. قالت «لا تأخذها في الحسبان.» فهم بلوخ ذلك على أنه تصريح بأنها تريد أن تقول له شيئا. لكنه لاحظ بعد ذلك بأنها كانت تعني أنه يستطيع البدء في الحديث. لم يخطر ببال بلوخ أي شيء. قال شيئا مقززا. أرسلت الطفلة إلى الخارج. أحاطها بيده. نهرته بصوت خفيض. أمسك ذراعها بعنف ثم تركه في الحال. قابل الطفلة بالخارج وكانت تنخر طلاء حائط البيت بشفاطة.

نظر عبر النافذة المفتوحة في بيت الجيران. رأى الميت مسجى فوق مائدة؛ وُضع النعش بشكل رأسي بجانب المائدة. بأحد الأركان جلست امرأة على مقعد وغمست خبزا في إبريق به نبيذ

فاكهة؛ على دكة خلف المائدة رقد صبي على ظهره ونام؛ على بطنه رقدت قطة.

عندما دخل بلوخ البيت، كاد ان ينزلق في الردهة على قطعة من الحطب. جاءت الفلاحة إلى الباب ودخل هو وتحدث معها. نهض الصبي من رقاده لكنه لم يتحدث؛ كانت القطة قد جرت إلى الخارج. قالت الفلاحة «لقد قام طوال الليل بحراسة الميت.» وفي الصباح وجدت الصبي سكرانا بعض الشيء. التفتت إلى الميت وصلت. أثناء ذلك غيرت ماء الزهور. قالت «لقد حدث كل شيء بسرعة، كان علينا أن نوقظ الطفل لكي يذهب إلى المنطقة.» لم يكن بإمكان الطفل إن يخبر القس بما حدث ولم يدق جرس الكنيسة. لاحظ بلوخ أن الغرفة قد تمت تدفئتها؛ بعد فترة انهار الحطب في المدفئة. قالت الفلاحة «أحضر حطبا إلى الداخل.» عاد الطفل ببعض قطع الحطب، حملها في يديه اليمني واليسرى، ثم تركها تسقط عند المدفئة وأثار ذلك بعض الأتربة. قالت «إن أحد أطفالنا قد صرعته ثمرة قرع.» مرت امرأتان عجوزان أمام النافذة وألقيا التحية بالداخل؛ لمح بلوخ على حافة النافذة حقيبة يد سوداء؛ لقد تم شراءها حديثا، ولم ينزع منها الورق المحشور داخلها. قالت الفلاحة «لقد شهق فجأة ثم مات.»

استطاع بلوخ أن يرى صالة المطعم على الناحية المقابلة حيث دخلت الشمس فيها بعمق حتى أن الجزء السفلي من الصالة وبخاصة الأرضية المبلطة حديثا وأرجل الكراسي والموائد والأشخاص بدت وكأن سطوحها الخارجية كلها تلمع من تلقاء

نفسها؛ لمح في المطبخ ابن صاحب الضيعة الذي استند على الباب وتحدث من على بعد واضعا ذراعيه فوق صدره، إلى المستأجرة التي جلست على المائدة. وكلما انحدرت الشمس أكثر كلما بدت هذه الصور لبلوخ أعمق وأبعد. لم يستطع أن يحول نظره؛ حتى تلاشى هذا الانطباع بمرور الأطفال عبر الشارع. ثم دخل طفل بباقة زهور. وضعت الفلاحة باقة الزهور في كوب ماء ووضعت الكوب على طرف المائدة التي عليها الميت. ظل الطفل واقفا. بعد قليل أعطته الفلاحة عملة معدنية وخرج الطفل من البيت.

سمع بلوخ ضجة تشبه سقوط شخص على الأرضية. لكن ذلك لم يكن سوى انهيار الخشب في المدفئة لمرة ثانية. وبمجرد أن توقف بلوخ عن الحديث مع الفلاحة، تمدد الطفل على الدكة وأخذ في النعاس ثانية. بعد ذلك جاءت بعض النسوة وصلين أمام إكليل الزهور. مسح أحدهم الكلام المكتوب بالطباشير على اللوحة المثبتة أمام محل البقالة وكتب بدلا من ذلك: برتقال، حلوى الكاراميل، سردين. دار الحديث في داخل الحجرة بصوت خفيض وفي الخارج ضج الأطفال. اشتبك خفاش بالستار، أستيقظ الطفل بفعل صرخة الخفاش، وقفز مهاجما الخفاش، لكن الخفاش كان قد طار إلى الخارج.

في هذه المغربية لم يرغب أي شخص في إشعال الضوء.

كان هناك فقط ضوء شحيح في صالة المطعم على الجهة المقابلة وكان مصدره جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي؛ مع ذلك لم يتم تشغيل أية أسطوانات. كان المطبخ المجاور لصالة المطعم معتما.

دُعي بلوخ إلى العشاء وأكل مع الآخرين على المائدة.

وبرغم أن النافذة كانت مغلقة، حام البعوض في الحجرة. أُرسل طفل إلى المطعم لإحضار أغطية مستديرة من الورق المقوى لأكواب البيرة ووضعت الأغطية فوق الأكواب حتى لا يسقط البعوض داخلها. ولاحظت إحدى السيدات أنها قد فقدت اللعبة المعلقة في سلسلتها. وبدأ الجميع في البحث. وبقى بلوخ جالسا على المائدة وبعد قليل من الوقت واتته رغبة في أن يجد لعبة السلسلة. وعندما لم يجدوا لعبة السلسلة في الحجرة، استمروا في البحث في الممر بالخارج. وسقط جاروف، بمعنى أصح، التقطه بلوخ قبل أن يسقط تماما. أضاء الطفل ببطارية الجيب وأتت الفلاحة بمصباح بترولي. طلب بلوخ بطارية الجيب وخرج بها إلى الشارع. مشى محنيا يبحث في الحصى، لكن أحداً لم يتبعه. سمع شخصا ما يناديه من الردهة، مبلغا إياه أنهم قد وجدوا لعبة السلسلة. لم يرد بلوخ أن يصدقه واستمر في البحث. وسمعهم من خلف الشباك يصلون. وضع بطارية الجيب على حافة الشباك من الخارج وانصرف.

عاد بلوخ إلى المنطقة وجلس بأحد المقاهي وتابع بعض الأشخاص أثناء لعب الورق. ثم بدأ في التشاجر مع اللاعب الذي كان يجلس هو وراءه. وطلب بقية اللاعبين من بلوخ أن ينصرف. ذهب بلوخ إلى الحجرة الخلفية. كانت هناك محاضرة مصحوبة بالصور الضوئية. تابعها بلوخ لبعض الوقت. كان موضوع المحاضرة عن مستشفيات الجمعية الدينية في شرق آسيا. بدأ بلوخ، الذي تحدث بصوت عال أثناء المحاضرة، في التشاجر مع

الناس مرة أخرى. استدار وخرج.

فكر في الدخول مرة ثانية، لكنه لم يعرف ماذا يمكنه أن يقول. ذهب إلى المقهى الثاني. وهناك أراد أن إيقاف تشغيل المروحة. وقال أن الإضاءة خافتة جدا كذلك. وعندما جلست إليه النادلة، تصرف وكأنه يريد أن يحيطها بذراعه؛ لاحظت هي أنه لا ينوي ذلك بالفعل وتراجعت بظهرها للوراء قبل أن يتمكن هو فعلا من التصرف وكأنه يريد إحاطتها بذراعه. عندما نهض بلوخ، انصرفت النادلة. والآن كان بإمكان بلوخ أن يتصرف وكأنه يريد أن يتبعها. لكنه لم يعد يحتمل ذلك وغادر المقهى.

صحا في غرفته بالفندق قبل الفجر بقليل. ومباشرة أصبح كل ما يحيط به غير محتمل. فكر فيما إذا كان استيقاظه في وقت معين، الآن قبل الفجر بقليل، يرجع إلى أن كل شيء قد أصبح بضربة واحدة غير محتمل. غاصت المرتبة التي ينام عليها، كانت الخزانات والكومودينات بعيدة عن الحوائط والسقف فوقه كان عاليا جدا بشكل لا يحتمل. ساد السكون في الغرفة شبه المظلمة وفي المر وبالخارج في الشارع، بحيث لم يعد يطيق أي شيء. ولفه اشمئزاز شديد. تقيأ في الحوض. تقيأ لبعض الوقت دون أن يحس بالراحة. رقد في السرير ثانية. لم يصبه دوار بل أحس على العكس بتوازن لا يمكن تحمله. ولم يُجد أن يميل من النافذة وينظر إلى الشارع بأسفل. في سكون رقد غطاء فوق أحد السيارات الواقفة. لمح على الحائط بداخل الغرفة ماسورتي مياه؛ كانتا متوازيتين، ويحدهما السقف من أعلى والأرضية من أسفل. كل ما كان يراه كان محددا

بصورة لا تحتمل. تراءى له وكأن إزميلا قد فصله عما يراه أو بالأحرى وكأن الأشياء المحيطة به قد رُفعت عنه. الخزانة، حوض الغسيل، حقيبة السفر، الباب: الآن فقط أدرك أنه كما المجبر، يبحث لكل شيء من هذه الأشياء عن كلمة تخصه. تتبع الكلمة مباشرة ما يمكن رؤيته من أي شيء. الكرسي، الشماعة، المفتاح. كان كل شيء هادئا جدا من قبل، لدرجة أنه لم يكن هناك أي صوت يلهيه؛ ولأن النهار كان جليا جدا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لم تكن هناك أصوات تلهيه، فقد رأى الأشياء كما لو كانت في الوقت نفسه إعلانا عن ذاتها. في الواقع كان الاشمئزاز مشابها لذلك الاشمئزاز تجاه أبيات دعائية بعينها أو ألحان أغنيات أو أناشيد وطنية معينة، كان عليه أن يرددها أو يدندن بها قبل أن يغط في النوم. حبس أنفاسه، مثلما يفعل المرء حينما يصاب بالفواق. عندما استنشق عادت الدندنة. حبس أنفاسه مرة أخرى. وأعانه ذلك بعد بعض الوقت ونعس.

في الصباح التالي لم يعد قادرا على تخيل أي شيء مما سبق. تم ترتيب صالة المطعم وسار موظف الضرائب ما بين الأشياء وأخذ صاحب الفندق يقول له أسعار الأشياء. وضع صاحب الفندق أمام موظف الضرائب فواتير خاصة بماكينة القهوة وأحد الثلاجات؛ حينما رأى بلوخ حديث الرجلين عن الأسعار، بدت لها أحواله بالليل أكثر تفاهة. وضع الصحيفة على المائدة بعد تصفحها لمرة واحدة واستمع فقط إلى موظف الضرائب الذي اختلف مع صاحب الفندق على سعر ثلاجة الأيس كريم. وجاءت أم صاحب الفندق

والفتاة إليهما؛ وتحدث الجميع مختلطين. تدخل بلوخ وسئل عن تكلفة تجهيز غرفة فندقية. أجاب صاحب الفندق أنه قد اشترى الموبيليا بأسعار زهيدة جدا من الفلاحين الذين إما قد غادروا المنطقة أو رحلوا إلى خارج البلاد. وقال لبلوخ سعرا، لكن بلوخ أراد أن يعرف سعر كل قطعة أثاث على حدة. أخذ صاجب الفندق قائمة الجرد من الفتاة وذكر لكل قطعة الثمن الذي اشتراه بها وكذلك الثمن الذي يعتقد أنه يمكنه به بيع خزانة أو كومودينو. لم يدون موظف الضرائب، الذي كان يكتب حتى ذلك الحين ملاحظاته، أي شيء، لكنه طلب من الفتاة كأسا من النبيذ. كان بلوخ راضيا وأراد الذهاب. قال موظف الضرائب أنه عندما يرى شيئا، غسالة مثلا، يسأل على الفور عن سعرها، وعندما يرى الشيء مرة أخرى، مثلا غسالة من نفس سلسلة الإنتاج، لا يتعرف عليها من ملمحها الخارجي، أي ليس عن طريق أزرار تشغيل برامج الغسيل، ولكن فقط من خلال معرفته من المرة الأولى لتكلفة الشيء، مثلا غسالة، أي عن طريق السعر. أنه يلمح السعر جيدا ويتعرف بهذه الطريقة على أي شيء مرة ثانية. سأله بلوخ، وعندما لا يكون للشيء أي قيمة؟ أجاب موظف الضرائب أنه ليس لديه علاقة بالأشياء التي ليس لها قيمة تجارية، على الأقل على المستوى الوظيفي.

ما يزال الطفل الأبكم مفقودا. لقد تم التحفظ على الدراجة وهم يبحثون حاليا في المنطقة المحيطة، لكن حتى الآن لم يطلق أي من الحراس أي رصاص للإشارة إلى أنهم قد عثروا على شيء. على أية

حال كان صوت مجفف الشعر خلف البارافان بمحل الحلاقة الذي ذهب إليه بلوخ عاليا جدا، حتى أنه لم يعد قادرا على سماع أي شيء بالخارج. وقام الحلاق بقص شعر قفاه. أثناء غسيل الحلاق ليديه، نظفت الفتاة ياقة بلوخ بالفرشاة. الآن تم إيقاف تشغيل مجفف الشعر، وسمع بلوخ خلف البارافان صوت تقليب أوراق. كان هناك صوت فرقعة. لم يكن ذلك سوى صوت سقوط لفائف الشعر المعدنية في وعاء صاجي.

سأل بلوخ الفتاة إن كانت ستذهب إلى البيت أثناء راحة الظهيرة. قالت الفتاة أنها ليست من المنطقة وأنها تأتي بالقطار كل صباح؛ في الظهيرة تذهب إلى مقهى مع زميلتها في العمل أو يبقيان هنا بالمحل. سألها بلوخ إن كانت تشتري تذكرة إياب كل يوم. ردت الفتاة أنها تسافر بتذكرة أسبوعية. سألها بلوخ في الحال «كم ثمن التذكرة الأسبوعية؟» وقبل أن تجيب الفتاة، قال لها أن هذا لا يعنيه. ومع ذلك ذكرت الفتاة السعر. قالت الزميلة خلف البارافان: «لماذا تسأل إذن، إن كان ذلك لا يعنيك؟» قرأ بلوخ، وكان قد نهض من مكانه، لوحة الأسعار المعلقة بجانب المرآة وذلك أثناء انتظاره لباقي النقود، ثم خرج.

ولاحظ أنه مهووس بشيء غريب وهو أن يعرف سعر كل شيء. لقد ارتاح لرؤية نوافذ عرض أحد محلات البقالة وقد كُتب عليها باللون الأبيض البضائع التي قد وصلت مؤخرا وأسعارها. على أحد صناديق الفاكهة الموضوعة أمام المحل، سقطت لافتة السعر. أقامها بلوخ. وكانت هذه الحركة كافية لأن يخرج أحدهم ويسأله

إن كان يريد شراء شيء. وفي محل آخر، تم تزيين كرسي هزاز بفستان طويل. وُضعت لافتة سعر بجانب الفستان على الكرسي الهزاز وقد غُرز فيها دبوس. لم يعرف بلوخ إن كان السعر المكتوب خاص بالفستان أم بالكرسي الهزاز. لا بد أن يكون أحدهما ليس للبيع. وقف أمامهما لفترة طويلة، حتى خرج إليه أحدهم مرة أخرى وسأله. لكنه أجاب السؤال بسؤال؛ قيل له أن لافتة السعر لا بد قد سقطت من على الفستان، لكن من الواضح تماما أن السعر لا يمكن أن يخص الكرسي الهزاز؛ فهو طبعا ملكية خاصة. وقال بلوخ الذي أكمل سيره بعد ذلك، أنه كان يريد فقط أن يستفسر. ثم نادى عليه الشخص بعد ذلك ليخبره من أين يشتري كرسي هزاز مثيل لهذا الكرسي. سأل بلوخ في المقهى عن سعر جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي. قال صاحب المقهى أنه لا يمتلك الجهاز، لقد استعاره. أجاب بلوخ أنه لم يقصد ذلك، إنه يريد فقط معرفة السعر. ولم يرتاح إلا عندما قال له صاحب المقهى السعر. قال صاحب المقهى أنه غير متأكد. بدأ بلوخ يسأل عن أسعار أشياء أخرى بالمقهى، لا بد للمالك أن يعرف سعرها لأنها ملكه. ثم تحدث المالك عن حمام السباحة الذي تخطت تكلفة بناءه المبالغ المقدرة لها بكثير. سأل بلوخ «حوالي كم؟» ولم يعرف صاحب المقهى. نفذ صبر بلوخ. وسأل «وكم كانت التكلفة المقدرة؟» و لم يستطع صاحب المقهى أن ينطق بأي شيء أيضا. على أية حال لقد وجدوا في مطلع العام الماضي رجلا ميتا بأحد كبائن الحمام، ومن المحتم أنه كان موجودا بالكابينة طوال الشتاء. كان رأسه موضوعا

في كيس بلاستيكي. كان القتيل غجريا. فهناك بالمنطقة بعض الغجر المقيمين؛ لقد بنوا لأنفسهم بيوتا عند حافة الغابة من التعويضات التي تلقوها عن الحبس في معسكرات التعذيب في فترة الحكم النازي. قال صاحب المقهى «سمعت أن بيوت الغجر من الداخل نظيفة جدا.» لقد دُهش حراس الحدود الذين كانوا يستجوبون السكان عن الطفل المفقود، من الأرضيات المغسولة حديثا وعامة من النظام داخل البيوت. لكن هذا النظام، استطرد صاحب المقهى، قد زاد من الشكوك؛ فمن المؤكد أن الغجر لن يغسلوا الأرضية إلا إن كان هناك سبب معين. لم يستسلم بلوخ وسأله إن كانت التعويضات التي حصلوا عليها كافية لبناء المساكن. لم يستطع صاحب المقهى أن يقول له كم كان مقدار مبلغ التعويضات. وقال «في ذلك الحين كانت مواد البناء والأيدي العاملة أرخص.» قلب بلوخ بفضول ورقة الحساب التي التصقت بأسفل كوب البيرة. وسأل أثناء وضعه لقطعة من الحجر، أخرجها من جيب معطفه، على المائدة «هل لهذه قيمة.» أجاب المالك دون أن يلمس الحجر، أن مثل هذه الأحجار يمكنك أن تجدها في كل مكان بالمنطقة . لم يرد بلوخ. ثم أخذ صاحب المقهى الحجر ووضعه في يده الخاوية، ثم وضعه ثانية على المائدة. أخرج! أخفى بلوخ الحجر في الحال.

على الباب قابل الحلاقتين. دعاهما أن يذهبا معه إلى مقهى أخر. قالت الثانية أنه لا توجد أسطوانات بجهاز الموسيقى هناك. سأل بلوخ عما تعنيه بذلك. وأجابت أن الأسطوانات هناك سيئة. سار

بلوخ في الأمام وتبعتاه. طلبتا شيئا للشرب وقامتا بفك الشطائر المغلفة. مال بلوخ بجسده على المائدة وبدأ في الحديث معهما. وعرضتا عليه بطاقتيهما الشخصية. عندما لمس بلوخ غطاء البطاقة البلاستيكي بدأت يداه في العرق. سألتاه إن كان جنديا. كانت الثانية منهما قد تواعدت مساءا مع مندوب مبيعات؛ لكنهم سيخرجون بأربعتهم معا، لأنه عندما يخرج اثنان بمفردهما، لن يجدا شيئا يتحدثان عنه. «عندما نكون أربعة، فسيقول أحدنا شيئا ثم يقول الأخر شيئا أخر. ونحكي نكاتا لبعضنا البعض.» لم يعرف بلوخ كيف يجيب. حبا طفل على الأرض في الحجرة المجاورة. قفز كلب حول الطفل وأخذ يلعق وجهه. رن جرس التليفون على البار؛ وطوال رنين التليفون لم ينصت بلوخ إلى الحديث. وقالت الحلاقة، أن أغلب الجنود مفلسين. لم يرد بلوخ. عندما نظر إلى أيديهما، أوضحتا أن أظافرهما قد اسودت من أثر مثبت الشعر. «لا جدوى من طلاءها فطرف الظفر يظل دائما أسود.» رفع بلوخ رأسه. «نحن نشتري الملابس جاهزة»، «نصفف شعر بعضنا البعض.» «في الصيف، يكون الوقت ما يزال نهارا عندما نعود إلى المنزل.» «أفضل الرقصات الهادئة» «أثناء العودة إلى المنزل لا نمزح كثيرا، لأننا ننسى الكلام» وقالت الحلاقة الأولى أنها تأخذ كل شيء بجدية، لدرجة أنها بحثت في بساتين الفاكهة عن الطفل المفقود. وضع بلوخ بطاقتيهما الشخصية أمامهما على المائدة، بدلا من أن يعطيها لهما، وكأنه ممنوع من النظر إلى وجهيهما. تأمل اختفاء بخار بصماته من على الغطاء السلوفاني للبطاقتين. وعندما سألتاه

عن مهنته، قال أنه كان حارس مرمى. وأوضح أن حارس المرمى يستطيع أن يمارس اللعبة مدة أطول من لاعب الميدان. قال بلوخ «لقد كان تسامورا كبيرا في السن إلى حد ما.» وردا على ذلك، تحدثتا عن لاعبي كرة عرفاهما شخصيا. عندما تكون هناك مباراة في منطقتهما، يقفان خلف مرمى الفريق الضيف ويستهزئان بحارس المرمى، حتى يفقد أعصابه. كانت سيقان معظم حراس المرمى مقوسة.

لاحظ بلوخ أنه كلما ذكر شيئا وتحدث عنه، تجيب الاثنتان بحكاية حدثت لهما مع الشيء المذكور أو شيء مشابه له، أو حتى، تحكيان ما يعرفانه عن الشيء من قبيل السمع. فإذا تحدث بلوخ مثلا عن كسر بالضلوع حدث له حينما كان حارس مرمى، أجابتا، أنه منذ بضعة أيام، حدث أن سقط عامل بورشة تقطيع الأخشاب تحت رصة من ألواح الخشب وأصيب كذلك بكسر في الضلوع؛ وعلى أثر ذلك قال بلوخ أن شفاهه قد خيطت عدة مرات، فحكتا ردا على ذلك عن مباراة ملاكمة في التلفزيون، فُتح فيها حاجب الملاكم أيضا؛ ثم حكى بلوخ أنه قد أصطدم بعارضة المرمى أثناء أحد القفزات وانشق لسانه، فأجابتا في الحال أن لسان الطفل الأبكم مشقوق.

وبخلاف ذلك فقد تحدثتا عن أشياء، بل وعن أشخاص لا يمكن له أن يعرفهم، وكأنه يعرفهم حتما ولديه أخبارهم. ضربت ماريا أوتو على رأسه بحقيبة من جلد التمساح. نزل العم إلى القبو وأخرج ألفرد إلى الحوش وضرب الطباخة الإيطالية بأحد عيدان البتولا. ثم

تركها ادوارد تنزل عند مفترق الطرق، حتى أنه كان عليها في منتصف الليل، أن تعود وحدها إلى المنزل سيرا على الأقدام، لقد سارت عبر غابة قاتل الطفل حتى لا يراها فالتر وكارل وهي تسير في طريق الأجانب، وأخيرا خلعت حذاء الحفل الذي أهداه لها السيد فريدريش. وعلى النقيض من ذلك أوضح بلوخ إزاء كل اسم يقوله، عمن يدور الحديث. حتى الأشياء التي ذكرها، قام بوصفها لكي يوضحها. فعندما ذكر اسم فيكتور، أضاف بلوخ: «أحد معارفي»؛ وعندما حكى عن ضربة حرة غير مباشرة، لم يشرح فقط، ما هي الضربة الحرة غير المباشرة، لكنه أوضح لهما، أثناء انتظارهما لسماع لبقية الحكاية، قواعد الضربة الحرة؛ بل وحتى عندما ذكر ضربة ركنية أقرها أحد الحكام، أعتقد أنه من الواجب عليه أن يوضح لهما، أن الأمر لا يتعلق هنا بأحد أركان الحجرة. وكلما أطال في الحديث، كلما بدا له ما يقوله أقل طبيعية. وشعر تدريجيا باحتياج كل كلمة إلى إيضاح. عليه أن يملك زمام نفسه، حتى لا يتلعثم في وسط الجملة. حدث عدة مرات أن زل لسانه، عندما كان يفكر مسبقا في الجملة التي يقولها؛ وعندما يتطابق ما تقوله الحلاقتان تماما مع ما فكر فيه أثناء إنصاته، لا يستطيع أن يجيب مباشرة. وكلما أصبح الحديث بينهم مألوفا، كلما أخذ في نسيان البيئة المحيطة؛ حتى الكلب والطفل بالحجرة المجاورة، لم يعد يراهم؛ لكن عندما تعثر في الكلام ولم يعد يعرف ما يقوله بعد ذلك ثم أخذ يبحث عن جمل يمكنه قولها، أصبحت البيئة المحيطة لافتة للانتباه، ورأى تفاصيل مفردة في كل مكان. أخيرا سأل

واحدة منهما، إن كان ألفرد صديقها؛ وإن كان هناك دائما غصن بتولا فوق الخزانة؛ وإن كان السيد فريدريش مندوبا للمبيعات؛ وإن كان طريق الأجانب قد سمي هكذا، لأنه يمر بمنطقة يسكنها الأجانب. وأجابتاه طواعية وتدريجيا. أدرك بلوخ بدلا من الشعر الباهت اللون ذي الجذور الداكنة وبدلا من البروش الوحيد على الرقبة وبدلا من ظفر إصبع أسود، وبدلا من بثرة على حاجب العين المحلوق، وبدلا من الحشو المتفتق على كرسي المقهى الخاوي، ملامح عامة وحركات وأصوات ونداءات وأشكال، الكل في واحد. بحركة واحدة هادئة وسريعة تلقف حقيبة اليد التي سقطت فجأة من على المائدة. وعرضت عليه الحلاقة الأولى أن يقضم قطعة من شطيرتها وعندما أمسكت له بالشطيرة قضمها بشكل طبيعي جدا.

سمع بالخارج أن التلاميذ قد حصلوا على يوم عطلة لكي **يشاركوا** جميعا في البحث عن زميلهم. لكنهم وجدوا، فيما عدا مرآة جيب مكسورة، **بعض** الأشياء التي لا علاقة لها بالطفل المفقود. من خلال الغطاء البلاستيكي، تم التحقق من أن مرآة الجيب تخص التلميذ الأبكم. وبرغم البحث الدقيق في محيط المنطقة التي وجدوا بها مرآة الجيب، فلم يتم العثور على أي أشياء أخرى تتعلق بالطفل. أضاف الحارس الذي حكى ذلك لبلوخ، أن غجريا قد تغيب منذ اختفاء الطفل ولم يعد له مكان إقامة محدد. بخلاف ذلك، تعجب بلوخ من أن الحارس قد حكى له ذلك نداءا، أثناء وقوفه على الناحية الأخرى من الشارع. وسأله بلوخ إن كانوا قد فتشوا في حمام

السباحة. قال الحارس أن الحمام مغلق ولا يدخل إليه أحد، حتى لو كان من الغجر.

لاحظ بلوخ في خارج المنطقة أن معظم حقول الذرة قد دهست تماما بالأقدام، لدرجة أن زهرات القرع أصبحت مرئية بين الأعواد المكسورة؛ الآن فقط بدأت الزهرات في الازدهار، وسط حقل الذرة ودائما في الظل. في كل أنحاء الشارع كانت هناك كيزان ذرة منزوعة وملقاة، ومنها ما قد قُشر ومنها ما قد قضم منه التلاميذ؛ وبجانبها كانت هناك ألياف سوداء منزوعة من كيزان الذرة. لقد رآهم بلوخ في المنطقة وقد قذفوا بعضهم البعض بالألياف السوداء المكورة، أثناء انتظارهم للباص. كانت ألياف الذرة رطبة جدا، لدرجة أنه عندما كان يخطو فوق إحداها كان الماء يخرج ويسمع صوت اعتصارها. وكأنه يمشي على أرض وحلة. وكاد أن يتعثر في ابن عرس مدهوس، كان لسانه خارجا عن فمه بصورة غير مألوفة. ظل بلوخ واقفا وتلمس بطرف حذاءه اللسان الطويل الرفيع، الذي أسود من أثر الدم: كان اللسان خشنا ومتصلبا. أزاح ابن عرس بقدمه تجاه المنحدر وأكمل سيره.

انحرف عند الكوبري، عن الشارع، وسار بمحاذاة الجدول في اتجاه الحدود. واتضح تدريجيا أن الجدول قد أصبح أكثر عمقا، لكن جريان الماء ما يزال أبطأ. نمت شجيرات البندق بشكل كثيف فوق الجدول على الجانبين، بحيث لم يعد سطح الماء مرئيا. سمع من مكان بعيد لحد ما عن هنا، صرير منجل أثناء حصد الحشائش. وكلما جرى الماء أبطأ كلما بدا أكثر عكارة. قبل أحد

المنحنيات توقف الجدول عن الجريان نهائيا وأصبح الماء غير شفاف على الإطلاق. من مسافة بعيدة أمكنه سماع كركرة جرار زراعي وكأن الجرار ليس له علاقة بما يحدث. تعلقت أغصان سوداء محملة بثمار البيلسان شديدة النضج بين الشجيرات الكثيفة. كانت هناك بقع زيت فوق الماء الراكد.

ورأى صعود فقاعات الماء من القاع بين حين وأخر. علقت نهايات أغصان البندق في داخل الجدول. لا يمكن لأي ضجيج خارجي الآن أن يشتت انتباهه. رأى كيف تختفي فقاعات الماء بمجرد وصولها إلى السطح. وقفز شيء ما إلى السطح، ولم يكن قادرا على معرفة إن كان سمكة أم شيء أخر.

عندما تحرك بلوخ بعد فترة فجأة، خرجت فقاعات كثيرة من الماء. مشى فوق قنطرة تمر فوق الجدول ونظر إلى الماء من فوقها بلا حراك. كان الماء ساكنا جدا حتى أن سطح الوريقات العائمة فوقه، ظلت جافة.

رأى مجموعة من طيور الماء تسبح هنا وهناك، ثم رأى فوقها، دون أن يرفع رأسه، سرب من الناموس. تموج الماء بأحد المواضع في الجدول. صدرت من الماء طرطشة عندما قفزت منه أحد الأسماك. وعلى الحافة رأى سلحفاة تجلس فوق سلحفاة أخرى. انجرفت من حافة النهر قطعة من الطين وسقطت في الماء وأحدثت صوت فقاعات مرة أخرى. بدت للأحداث فوق سطح الماء أهمية شديدة، حتى أنه تمكن عند تكرارها من مشاهدتها وتذكرها في ذات الوقت. وتحركت أوراق الشجر على سطح الماء ببطء شديد،

مما جعله يشاهدها دون أن ترمش عيناه، حتى التهبتا خوفا من إمكان التباس حركة الرموش بحركة الأوراق. لم يعكس الماء ذو القاع الطيني أي شيء ولا حتى أغصان الشجر الغارقة فيه.

بدأ شيء ما خارج مجال وجهه الذي نظر إلى الماء بأسفل في إزعاجه. غمز بعينيه وكأن عينيه هي السبب، لكنه لم ينظر في اتجاه الشيء. تدريجيا دخل الشيء في مدار وجهه. رأى الشيء لمدة طويلة لكنه لم يدركه؛ بدا له وعيه كله كبقعة عمياء. ومثلما يحدث في فيلم كوميدي عندما يفتح شخص بشكل عارض صندوقا ما ويثرثر أي شيء ثم يتلعثم من المفاجأة ثم يهوي إلى الصندوق ثانية، رأى بلوخ بعد ذلك جثة طفل فوق سطح الماء.

عاد بعد ذلك إلى الشارع. التقى عند المنحنى الذي تقع به أخر البيوت قبل الحدود بأحد حراس الحدود الذي كان راكبا دراجة بخارية؛ لقد رآه من قبل في مرآة المنحنى، ثم رآه فعلا عند المنحنى جالسا باعتدال فوق الدراجة البخارية بقفازات بيضاء ويد على المقود والأخرى على بطنه؛ كان إطاري الدراجة البخارية متسخين بالطين؛ وفي أسلاك الإطارات رفرفت ورقة من نبات اللفت. لم ينبئ وجه الحارس بأي شيء. كلما أستمر بلوخ في النظر إلى الشخص الراكب فوق الدراجة البخارية كلما تصور أنه ينظر ببطء من وراء صحيفة ويتأمل الخلاء عبر نافذة: ابتعد الحارس أكثر وأكثر وأصبح اهتمامه به أقل فأقل. ولاحظ بلوخ في الحال أن ما رآه حينما تابع النظر إلى الحارس، كان عبارة عن مقارنة لمدة قصيرة مع شيء أخر كان قد رآه. اختفى الحارس من الصورة وأصبح

وعي بلوخ أكثر سطحية. لم يقابل أحدا في مطعم الحدود الذي ذهب إليه بالرغم أن الباب كان مفتوحا.

وقف هناك لمدة من الزمن ثم فتح الباب ثانية ثم أغلقه تماما من الداخل. جلس على مائدة في الركن وأنتظر شاغلا نفسه بتحريك الكريات الصغيرة التي تستخدم لحساب المكسب في لعب الورق، هنا وهناك. أخيرا خلط أوراق اللعب الموضوعة بين الكريات وأخذ يلعب مع نفسه. أصيب بهوس اللعب؛ سقطت أحد الأوراق تحت المائدة. انحنى ورأى تحت مائدة أخرى، ابنة المستأجرة راقدة بين الكراسي التي وضعت أمام المائدة. اعتدل بلوخ واستمر في اللعب؛ كانت أوراق اللعب مستهلكة بصورة جعلته يظن أن الأوراق المنفردة قد ازدادت سمكا. نظر إلى بيت الجيران حيث كانت المائدة التي وضع عليها الميت خاوية؛ كان مصرعي النافذة مفتوحين عن آخرهما. الآن نادى الأطفال بالخارج في الشارع وأزاحت الطفلة الراقدة تحت المائدة الكراسي بعيدا واندفعت جريا إليهم.

دخلت النادلة من الحوش. وكاستجابة على رؤيته جالسا، قالت أن المستأجرة قد ذهبت إلى القصر لتجديد عقد الإيجار. تبع النادلة صبي يجر في كل يد صندوق مليء بزجاجات البيرة؛ رغم ذلك لم يغلق فمه. تحدث بلوخ إليه لكن النادلة أوعزت إليه ألا يتحدث إليه، فالطفل لا يستطيع الكلام أثناء حمله لأشياء ثقيلة. صف الصبي الذي كان باديا عليه شيء من التخلف العقلي صناديق البيرة خلف البار. قالت له النادلة: «هل عاودت إلقاء الرماد فوق السرير بدلا من إلقاءه في الجدول؟ هل توقفت عن القفز فوق الماعز؟ هل ما زلت تشق

القرع وتلطخ به وجهك؟» وقفت عند الباب ممسكة بزجاجة بيرة، لكن الطفل لم يرد عليها. وعندما أظهرت له الزجاجة، جاء إليها. أعطته الزجاجة وخرج. اندفعت قطة إلى الداخل وقفزت في الهواء مطاردة ذبابة، ابتلعتها في الحال. أغلقت النادلة الباب. أثناء ما كان الباب مفتوحا سمع بلوخ صوت رنين التليفون في مكتب التفتيش الجمركي المجاور.

ذهب بلوخ خلف الصبي إلى القصر، مشى ببطء لأنه لا يريد أن يلحق به؛ لقد شاهده وهو يشير بحركات عنيفة إلى شجرة أجاص وسمعه يقول: «سرب نحل»، وأعتقد هو أيضا عند النظرة الأولى أن هناك فعلا سرب نحل عالق بالشجر، حتى نظر إلى الأشجار الأخرى وأدرك جذوع الشجر متضخمة في بعض المواضع. رأى الصبي يرمي بالزجاجة إلى قمة الشجرة وكأنه يريد أن يبرهن له على أن هناك سرب نحل موجود فعلا. تناثرت بقايا قطرات البيرة على جذع الشجرة وسقطت الزجاجة على كومة من ثمار الأجاص العطنة وفي الحال خرجت من بين الثمار ذبابات وزنابير وحامت بطنينها فوقها. وأثناء سير بلوخ بجانب الصبي، سمع الصبي يحكي عن «شخص مهووس بالاستحمام» رآه بالأمس يستحم بالجدول؛ كانت أصابعه متجعدة من أثر الماء، وأمام فمه كانت هناك فقاعة صابون كبيرة. سأل بلوخ الصبي إن كان يستطيع العوم. رأى بلوخ الصبي يمط شفتيه ويومئ بشدة، لكنه سمعه يقول «لا» بعد ذلك. تخطاه بلوخ، وسمعه يكمل الحديث، لكنه لم ينظر إلى الخلف.

أمام القصر، دق على شباك دار الخفر. أقترب من زجاج النافذة حتى يمكنه أن ينظر إلى داخل الدار. على المائدة وُضع حوض مليء بالبرقوق. كان الخفير الراقد على الكنبة قد استيقظ لتوه؛ وأعطاه إشارات لم يعرف بلوخ كيف يجيب عليها. أومأ بلوخ. خرج الخفير إلى بلوخ ومعه مفتاح. فتح البوابة واستبق بلوخ. وقال بلوخ لنفسه: خفير بمفتاح! وظن ثانية أن عليه أن يرى الأشياء بمعناها المجازي. لاحظ أن الخفير ينوي القيام بإرشاده عبر المبنى. وقرر أن يوضح سوء التفاهم؛ لكن برغم أن الخفير لم يتحدث إلا قليلا فلم تواتِ فرصة لذلك. كانت هناك أسماك مثبتة بمسامير على باب المدخل الذي عبروه. واستعد بلوخ للتوضيح، لكن اللحظة المناسبة فاتته. لقد دخلوا إلى المبنى.

في المكتبة تلا الخفير على بلوخ من كتب ورد بها حصص المحصول التي كان على الفلاحين في الماضي أن يوردوها لصاحب الضيعة كفوائد على الإيجار. ولم يتمكن بلوخ من مقاطعة الخفير عند هذا الموضع حيث أن الخفير قد بدأ يترجم سجلات باللاتينية عن فلاح متمرد. قرأ الخفير «كان عليه أن يغادر السراي، ثم وجدوه بعد فترة في الغابة معلقا من قدميه على فرع شجرة وعلى رأسه كم كبير من النمل.» كان دفتر الفوائد سميكا جدا بحيث كان على الخفير أن يغلقه بكلتا يديه. سأل بلوخ إن كان بالقصر سكان. أجاب الخفير أن الدخول إلى القاعات الخاصة ممنوع. سمع بلوخ طرقة خفيفة لكن ذلك لم يكن سوى صوت إغلاق الخفير للكتاب ثانية. وتلا الخفير عن ظهر قلب «لقد ذهبت ظلمة غابات الشربين

بعقله.» صدر أمام النافذة صوت يشبه انفصال تفاحة ثقيلة من فرعها. استمرت الضجة. نظر بلوخ إلى الخارج ورأى ابن صاحب الضيعة يقطف ثمار التفاح بعصا طويل ثُبت بإحدى نهايتيه جوال بحافة مسننة، بحيث تسقط التفاحات في الكيس، بينما وقفت المستأجرة على النجيل مرتدية جونلة واسعة.

في القاعة المجاورة كانت هناك لوحات مثبت عليها فراشات. وأراه الخفير كيف تبقعت يداه من أثر عملية تحضير الفراشات. مع ذلك انفلتت فراشات كثيرة من الدبابيس التي ثُبتت بها وسقطت؛ رأى بلوخ على الأرض أسفل اللوحات ترابا. اقترب أكثر وتأمل بقايا الفراشات التي مازالت عالقة بالدبابيس. عندما أغلق الخفير الباب خلفه سقط شيء خارج مجال وجهه ونتج عنه غبار أثناء سقوطه. رأى بلوخ فراشة ليلية من نوع عين الطاووس بدت مغمورة بضوء أخضر صوفي. لم ينحني ولم يرجع للوراء وقرأ المكتوب تحت الدبوس الخالي. تغيرت أشكال بعض الفراشات تغيرا كبيرا بحيث لم يعد بالإمكان التعرف عليها سوى من خلال الشروح المثبتة أدناها. قال الخفير الذي وقف على باب القاعة التالية مقتبسا: «جثة في حجرة المعيشة.» بالخارج صرخ أحدهم وارتطمت تفاحة بالأرض. رأى بلوخ من الشباك غصنا يرتد إلى موضعه. وضعت المستأجرة التفاحة الساقطة على الأرض على كومة التفاحات المعطوبة الأخرى.

بعد ذلك أتى فصل دراسي من خارج المنطقة وقطع الخفير الجولة الإرشادية وبدأ من جديد. انتهز بلوخ الفرصة وابتعد.

عندما عاد إلى الشارع، جلس على دكة بجانب موقف الباص الخاص بالبريد، كانت الدكة مهداه من بنك المنطقة كما أشارت إلى ذلك لوحة من النحاس الأصفر. كانت البيوت بعيدة جدا عن بعضها حتى أنه قد صار من الصعب التفرقة بينها؛ عندما بدأت الأجراس تدق، لم يكن ممكنا معرفة أن مصدرها هو برج الكنيسة. طارت طائرة فوقه على ارتفاع عال جدا بحيث لم يعد بإمكانه رؤيتها؛ ومضت لمرة واحدة فقط. على الدكة بجانبه كانت هناك آثار جافة لحلزون. وكان النجيل تحت الدكة ما يزال مبللا من طل الليلة الماضية؛ وعبأ الغطاء السلوفاني لعلبة سجائر بالبخار. على يساره رأى... على يمينه رأى... من خلفه رأى... أصبح جائعا وأكمل سيره.

ثانية في المطعم. طلب شرائح السجق. قطعت النادلة الخبز والسجق بماكينة تقطيع الخبز وأحضرت له شرائح السجق على طبق؛ وضعت فوق الشرائح مستردة. أكل بلوخ، وحل الظلام. اختبأ طفل في الخارج جيدا بحيث لم يعثر عليه أحد. فقط عندما انتهوا من اللعب، رآه بلوخ يمشي في الشارع الخالي. أبعد بلوخ الطبق من أمامه وأبعد غطاء البيرة من أمامه وأبعد الملاحة من أمامه.

ذهبت النادلة مع الطفلة لتعدها للنوم. بعد ذلك جاءت الطفلة إلى صالة المطعم وأخذت تجري بقميص النوم بين الزبائن. كانت حشرات العث تطير من الأرضية من وقت لآخر مصدرة أزيزها. حملت المستأجرة بعد عودتها الطفلة إلى حجرة النوم.

أغلقت الستائر وأصبحت الحانة ممتلئة. وقف بعض الصبية عند البار وعندما كانوا يضحكون، كانوا يرتدون خطوة للوراء. بجانبهم وقفت فتيات بمعاطف واقية من الماء وكأنهن على استعداد للمغادرة. حكى أحد الصبية شيئا وذهل الآخرون لبرهة قبل أن ينفجروا جميعهم في الضحك. من جلس، جلس كلما أمكن بجانب الحائط. أمسك كباش الأسطوانات في جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي بأحد الأسطوانات، اصطدم ذراع الصوت بالأسطوانة. صمت هؤلاء الذين وقفوا في انتظار أسطواناتهم؛ لم يأت ذلك بأي نفع؛ لم يتغير أي شيء. لم يتغير أي شي، عندما تركت النادلة ذراعها يتدلى من فرط التعب وانزلقت ساعة يدها من تحت أكمام الجاكت إلى معصمها، وعندما أرتفع ذراع ماكينة القهوة ببطء، قام شخص قبل فتحه لعلبة أعواد ثقاب، بتقريب العلبة إلى أذنه وهزها. ظلت الأكواب الفارغة في مكانها لفترة طويلة. رفعت النادلة أحد الأكواب لتتأكد إن كانت تستطيع استخدامها أم لا. صفع الصبية بعضهم البعض على سبيل المزاح. لا شيء يعين. عندما نادى شخص قائلا أنه يريد دفع الحساب، عادت الأمور إلى جديتها.

كان بلوخ مخمورا لحد ما. بدت كل الأشياء بعيدة عن متناول يديه. كان بعيدا جدا عن الأحداث بحيث أنه لم يتخيل نفسه مطلقا فيما رآه وسمعه. مثل التصوير من الجو! قال ذلك لنفسه عند تأمله للقرون المعلقة على الحائط. بدت له الأصوات كأصوات عارضة، مثل السعال والتجشؤ عند نقل شعائر القداس من الراديو.

بعد ذلك دخل ابن صاحب الضيعة مرتديا بنطلون نكرز* وعلق معطفه قريبا جدا من بلوخ بحيث كان على بلوخ أن يميل إلى جانب.

جلست المستأجرة بجانب ابن صاحب الضيعة وسألته بصوت مسموع، أثناء جلوسها، عما يريد أن يشرب وصاحت على النادلة بالطلب. رآهما بلوخ يشربان طوال الوقت من نفس الكوب؛ وكلما قال الصبي شيئا ضربته المستأجرة في جنبه؛ وعندما مرت سريعا بكف يدها المنبسط على وجهه، أمسك بيدها وأخذ يلعقها. ثم جلست المستأجرة على مائدة أخرى، حيث أكملت حركات عملها، بأن داعبت شعر صبي أخر. نهض ابن صاحب الضيعة مرة ثانية وأخذ السجائر من جيب المعطف خلف بلوخ. عندما هز بلوخ رأسه بالنفي إجابة على السؤال، ما إذا كان المعطف يضايقه، لاحظ أنه لم يتحرك من هذا المكان منذ فترة. نادى بلوخ: «الحساب!» ولوقت قصير بدت الجدية على وجوه الجميع مرة ثانية. أعطت المستأجرة، التي كانت تقوم بفتح زجاجة نبيذ وقد أرجعت رأسها للوراء، إشارة للنادلة التي وقفت خلف البار وغسلت الأكواب التي وُضعت على قطعة من الإسفنج لتمتص الماء، وجاءت النادلة إليه مارة بالصبية الذين وقفوا عند البار وأعطته باقي نقوده بأصابع باردة، عملات مبللة، وضعها في جيبه في الحال عندما نهض؛ قال بلوخ لنفسه: هذه نكتة. ربما بدا له الحدث متكلفا، لأنه سكران.

نهض وذهب إلى الباب؛ فتح الباب وخرج. كان كل شيء على ما يرام.

---

* بنطلون قصير ضيق عند الركبة. المترجم.

لكي يتأكد من ذلك ظل واقفا لفترة من الزمن. من وقت لأخر كان أحدهم يخرج ويقضي حاجته. بدأ آخرون، كانوا قد جاءوا مؤخرا، في الغناء بالخارج مع الموسيقى الصادرة من جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي. ابتعد بلوخ.

العودة إلى المنطقة؛ العودة إلى المطعم؛ العودة إلى الحجرة. قال بلوخ لنفسه بارتياح: تسع كلمات كاملة. سمع فوقه في الدور العلوي صوت تصريف ماء الاستحمام؛ على أية حال لقد سمع غرغرة ومؤخرا تنفس بصوت عال وتشدق.

من المحتم أنه لم يكد ينعس، عندما استيقظ مرة أخرى. تصور في اللحظة الأولى أنه قد سقط خارج نفسه. لاحظ رقاده في سرير. غير قابل للنقل! قال بلوخ ذلك لنفسه: زائدة لحمية! رأى نفسه وكأنه قد تحول فجأة. لم يعد يصيب الهدف؛ كان رغم رقاده في سكون عبارة عن تكلف واختناق متفردين؛ رقد هناك بوضوح زائد ومتوهج، بحيث أنه لم يعد بإمكانه التنصل من أية صورة يمكن مقارنته بها. كان مثلما كان هناك، شيئا هائجا، مقززا، غير لائق، مثيرا للاستياء تماما؛ فكر بلوخ، دفن، تحريم، إبعاد! ظن أنه يتحسس ذاته بطريقة غير مريحة، لكنه لاحظ بعد ذلك أن وعيه بذاته كان شديدا جدا، حتى أنه قد شعر به كحاسة لمس على كامل جسده؛ وكأن الوعي، وكأن الأفكار قد أصبحوا جميعا ضده هو ذاته يهاجمونه بالأيدي والشتائم. رقد هناك بلا حول ولا قوة، غير قادر على الدفاع عن نفسه؛ داخله مقلوب إلى الخارج باشمئزاز؛ ليس غريبا، لكنه مختلف بصورة كريهة. لقد كانت هزة وبهذه الهزة

أصبح غير طبيعي، لقد أُنتزع عن السياق. رقد هناك، غير محتمَل، جد حقيقي؛ لا مجال للمقارنة. كان وعيه بذاته قويا جدا، حتى أنه قد أصيب بخوف من الموت. عرق. سقطت عملة على الأرض وجرت تحت السرير؛ انتبه منصتا: مقارنة؟ ثم غلبه النعاس.

الصحو ثانية. بدأ بلوخ في العد: اثنين، ثلاثة، أربعة. لم تتغير حالته، مع ذلك كان عليه أن يألفها أثناء النوم. أدخل العملة التي سقطت تحت السرير في جيبه ونزل إلى أسفل. عندما انتبه وتخيل، كانت هناك دائما كلمة تتبعها كلمة أخرى. يوم ممطر من أيام أكتوبر؛ نهار مبكر؛ زجاج نافذة مغبر: نفعت الحيلة. حيا صاحب الفندق؛ وضع صاحب الفندق جريدة في الحامل الخاص بها؛ أدخلت الفتاة صينية في الفتحة الموصلة بين المطبخ وصالة الطعام: مازالت الحيلة نافعة. وعندما احترس، كان من الممكن أن تتابع الجمل واحدة تلو الأخرى: جلس على المائدة التي يجلس عليها دائما؛ فتح الجريدة التي يفتحها كل يوم؛ قرأ ملحوظة بأنهم قد تتبعوا في قضية موت جيردا. ت. أثرا هاما، يقود إلى المنطقة الجنوبية من البلاد؛ لقد كان للشخبطات على طرف الصحيفة التي عثر عليها بشقة القتيلة أثر هام في تقدم التحقيقات. الجملة تولد الجملة التالية عليها. وبعد، وبعد، وبعد... بإمكانه أن يهدأ مسبقا لبعض الوقت.

بالرغم من أنه مازال جالسا في صالة الطعام بالفندق يعدد ما يحدث أمامه في الشارع، فقد ضبط بلوخ نفسه متلبسا بجملة وقعت عليها عينه: «لقد كان عاطلا عن العمل لفترة طويلة.» ولأن

الجملة بدت لبلوخ كجملة ختامية، عاود التفكير في كيفية وصوله إليها. ماذا كان قبل ذلك؟ نعم! قبل ذلك، تذكر الآن: «من وقع الضربة المفاجئة، دارت الكرة بين ساقيه» وفكر إزاء هذه الجملة في المصورين الذين شتتوا تركيزه خلف المرمى. وقبل ذلك: «وقف أحدهم خلفه وأخذ يصفر لكلبه.» وقبل هذه الجملة؟ قبل هذه الجملة فكر في امرأة وقفت بموقف سيارات والتفتت ونظرت وراءها كما ينظر المرء إلى طفل غير مطيع. وقبل ذلك؟ قبل ذلك حكى صاحب الفندق عن التلميذ الأبكم الذي عثر عليه موظفو الجمارك ميتا عند الحدود. وقبل التفكير في التلميذ فكر في الكرة التي قفزت قبل الخط بقليل. وقبل التفكير في الكرة فكر في بائعة السوق التي رآها تقفز من مقعدها وتجري خلف أحد التلاميذ. وسبقت بائعة السوق جملة بالصحيفة: «حال ارتداء الأسطى النجار لمريلة العمل دون ملاحقته للص.» قرأ الجملة في الجريدة عندما فكر في مشاجرة وقعت له وشُد معطفه من الخلف فوق ذراعيه. وخطرت المشاجرة بباله عندما اصطدمت قصبة رجله بصورة مؤلمة بالمائدة. وقبل ذلك؟ لم يعد يتذكر ما الذي جعل قصبة رجله تصطدم بالمائدة. بحث في هذا الحدث عن نقطة انطلاق إلى ما يمكن أن يكون قبل ذلك: هل لذلك علاقة بالحركة؟ أو بالألم؟ أو بالضجة الناتجة عن اصطدام قصبة الرجل بالمائدة؟ لم يكن من الممكن الرجوع للوراء أكثر من ذلك. ثم نظر في الجريدة إلى باب منزل، وجب كسره، لأن هناك جثة راقدة وراءه. قال لنفسه: إذن لقد بدأ الأمر بذلك الباب حتى وصل لجملة «لقد كان عاطلا عن العمل لفترة طويلة.»

ومضت الأمور بشكل جيد لبعض الوقت؛ حيث تطابقت حركة شفاه الناس الذين تحدث معهم مع ما سمعه منهم؛ ليس للبيوت واجهة أمامية فقط؛ إنهم يسحبون جوالات دقيق ثقيلة من رصيف الشحن الخاص بمعمل الألبان إلى داخل المخزن؛ عندما ينادي شخص ما من الشارع، يبدو فعلا وكأنه ينادي من أسفل؛ يبدو السائرون المارون بالرصيف المقابل وهم يسيرون في خلفية السائرين على هذه الناحية وكأنهم غير مستأجرين من أجل المرور من هنا؛ لدى الصبي ذي الشريط الطبي اللاصق أسفل عينيه قشرة دم حقيقية من أثر الجرح؛ لم يسقط المطر بواجهة الصورة فقط، بل في مجال الوجه كله. وجد بلوخ نفسه تحت سقف مدخل كنيسة. لا بد أنه وصل إلى هنا عبر حارة جانبية ووقف تحت السقف عندما بدأ المطر يهطل.

ولاحظ أن الضوء بداخل الكنيسة أكثر وضوحا مما تصوره. وبذلك تمكن من تأمل لوحة السقف بعدما جلس على إحدى الدكك. وتعرف على اللوحة: لقد كانت مصورة على المطوية الموجودة بكل غرف الفندق. أخرج بلوخ المطوية التي كان قد وضعها في جيبه لأن بها رسم توضيحي للمنطقة وما يحيط بها وللشوارع والطرق، وقرأ أن خلفية اللوحة وواجهتها قد نفذهما رسامان مختلفان؛ فقد انتهى الأول من رسم الأشخاص المصورين بواجهة اللوحة قبل أن ينتهي الأخر من رسم الخلفية. نظر بلوخ من المطوية إلى داخل تجويف القبة؛ لأنه لم يتعرف على الأشخاص المرسومة - شخصيات من تاريخ الكتاب المقدس - أصيب بالملل؛ وارتاح رغم

ذلك للنظر إلى تجويف القبة أثناء هطول المطر بشدة في الخارج. امتدت اللوحة بطول سقف الكنيسة؛ صورت الخلفية سماءا زرقاء متساوية في أبعادها نسبيا وشبه خالية من السحب؛ كانت هناك بعض ندف السحب المتناثرة هنا وهناك؛ في أحد المواضع فوق الأشخاص وبعيدا عنهم بعض الشيء، كان هناك رسم لطائر. وقدر بلوخ عدد الأمتار المربعة التي كان على الرسام أن يرسمها. هل كان من الصعب تلوين الخلفية بشكل متساو باللون الأزرق؟ كان اللون الأزرق فاتحا جدا بحيث كان من الضروري - أغلب الظن - أن يُمزج باللون بالأبيض. وعند مزج اللونين كان من الواجب مراعاة أن درجة الأزرق لن تتغير من يوم لآخر أثناء الدهان؟ من ناحية أخرى لم يكن الأزرق موزعا بشكل متساو إطلاقا، بل تغير من ضربة فرشاة لأخرى. إذن لا يمكن دهان السقف بلون أزرق بتوزيع متساو لنفس الدرجة اللونية، بل يجب رسم صورة؟ لم تصبح الخلفية سماءا إذن عند دهان المحارة المبتلة اللازمة لذلك عميانا باللون الأزرق بأكبر فرشاة ممكنة أو حتى بمقشة. وفكر بلوخ أن الرسام لابد قد رسم سماءا بتغييرات طفيفة في الأزرق، وكان لازما ألا تكون هذه التغييرات بذلك الوضوح الذي قد يُرى على أنه خطئا في المزج. والواقع أن الخلفية لم تبدو كسماء لأنه من المعتاد رؤية سماء في الخلفية بل لأن السماء قد رُسمت خطا بخط في الخلفية. وفكر بلوخ، أن السماء كانت مرسومة بدقة شديدة بحيث تبدو للرائي وكأنها قد صورت؛ على أية حال، كان أشخاص الواجهة أكثر دقة. هل أضاف الرسام الطائر من قبيل الغضب؟

وهل رسم الطائر من البداية أم هل أضافه عندما انتهى من الرسم؟ هل كان رسام الخلفية غير واثق من أمره؟ لم يكن هناك دليل على ذلك. رأى بلوخ على الفور أن هذا التفسير سخيف. لقد بدا له كما لو كان انشغاله باللوحة وذهابه ومجيئه وجلوسه وخروجه، ليسوا سوى حجج. نهض وقال لنفسه «لا مجال لتشتيت الانتباه» وكأنه يناقض نفسه، خرج، ثم دخل في الحال بعد عبوره الشارع إلى ردهة منزل، ووقف بجانب زجاجات الحليب متحديا حتى توقف المطر، دون أن يأتي أحد ويكلمه، ثم ذهب إلى مقهى وجلس هناك لمدة من الزمن مادا ساقيه للأمام دون أن يتكرم أحدهم ويتعثر فيها ويسمح بحدوث شجار.

عندما نظر إلى الخارج رأى مقطعا من منظر ميدان السوق مع باص المدرسة؛ رأى بالمقهى يسارا ويمينا أجزاءاً من الحوائط، بفرن بارد وُضعت فوقه باقة زهور، وشماعة ملابس على الناحية الأخرى عُلقت فوقها مظلة. رأى مقطعا أخر من صورة جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي الذي تتجول فيه نقطة ضوئية ببطء وتقف عند الرقم المختار، وبجانبه ماكينة السجائر الأوتوماتيكية، ثم بعدها باقة الزهور؛ ثم بعد ذلك منظر صاحب المقهى خلف البار وهو يفتح زجاجة للنادلة التي تقف إلى جانبه ثم وضعت النادلة الزجاجة على الصينية؛ ثم منظره هو وقد مد ساقيه، بواجهة الحذاء المبتلة المتسخة، ومطفأة السجائر الضخمة فوق المائدة وبجانبها زهرية صغيرة وكأس النبيذ الممتلئ على المائدة المجاورة التي كانت خاوية في هذه اللحظة. وحسبما لاحظ بلوخ، طابقت زاوية النظر إلى

الميدان بعد انطلاق الباص تقريبا، زاوية النظر إلى أحد البطاقات البريدية السياحية: هنا منظر النصب التذكاري لموتى الطاعون عند بئر الزينة؛ وهناك على طرف الصورة منظر موقف الدراجات.

كان بلوخ مُستثارا. لقد رأى التفاصيل داخل المناظر واضحة بشكل فج: وكأن الأجزاء التي يراها تمثل الكل. وهاهو يرى التفاصيل ثانية وكأنها لافتات بالأسماء. وقال لنفسه «كتابة مضيئة.» هكذا رأى أذن النادلة وبها حلق على أنها إشارة إلى شخصها كله؛ وحقيبة يد على المائدة المجاورة كانت مفتوحة بعض الشيء، وقد تمكن من أن يرى بداخلها إيشاربا منقطا، عبرت هذه الحقيبة عن المرأة التي أمسكت بإحدى يديها فنجان قهوة وتصفحت بسرعة باليد الأخرى مجلة مصورة، وكانت تتوقف من حين لأخر عند إحدى الصور. كان برج أكواب الأيس كريم المرصوصة فوق بعضها البعض والموضوعة على البار بمثابة مقارنة مع صاحب المقهى ومثلت بقعة الماء على الأرضية تحت شماعة الملابس المظلة المعلقة أعلاها. وبدلا من رؤية رؤوس الزبائن، رأى بلوخ المواضع المتسخة على الحوائط في مستوى الرؤوس. لقد كان مُستثارا للحد الذي جعله ينظر إلى الخيط المتسخ الذي سحبته النادلة لكي تطفئ مصابيح الحوائط – تفتحت عتمة الجو بالخارج وأصبح أكثر وضوحا – ويرى كما لو أن كل مصابيح الحائط عبارة عن إهانة موجهة إليه شخصيا. لقد أصيب بصداع أيضا لأنه أتى أثناء هطول المطر.

وبدا أن التفاصيل الفجة تلوث أشخاصها والبيئة المحيطة بها

وتشوهها. ويمكن للمرء حماية نفسه منها بأن يعطي للتفاصيل مسميات ويستخدم هذه المسميات كشتائم ضد الأشخاص أنفسهم. فيمكن تسمية صاحب المقهى الواقف خلف البار، كوب الأيس كريم، ويمكن القول أن النادلة لديها ثقب في حلمة أذنها. كذلك يحلو للمرء أن يقول للمرأة التي تقرأ المجلة المصورة: يا حقيبة اليد! وللرجل على المائدة المجاورة والذي أتى أخيرا من الغرفة الخلفية وشرب نبيذه وقوفا أثناء دفع الحساب: يا بقعة على البنطلون! أو أن يُنادى عليه بعد أن وضع الكأس فارغة وخرج وأن يُنعت بأنه بصمة إصبع، عروة معطف، مقبض باب، بقعة مطر، مشبك سروال لقيادة الدراجة، رفرف سيارة وهكذا حتى اختفى الشخص بدراجته عن الصورة... بل إن حديث الناس وبخاصة مفردات التعجب التي يستخدمونها: الهكذا إذن! والآه!، بدت له مقحمة بشكل يدعو إلى تقليدها بصوت عال كوسيلة للاستهزاء بها.

ذهب بلوخ إلى مجزر لحوم واشترى شطيرتي سجق. لم يرد أن يأكل بالمطعم لأن نقوده لم تعد كافية. تأمل أطراف السجق المعلقة على حامل بجانب بعضها البعض وبيّن للبائعة السجق الذي عليها أن تقطع منه. دخل طفل إلى المحل وبيده ورقة. وقالت البائعة أن موظف الجمارك قد رأى جثة التلميذ أول الأمر على أنها مرتبة عائمة. أخذت من أحد الكراتين رغيفي خبز صغيرين وشطرتهما ولكن ليس كليا. كان الخبز قديما جدا حتى أن بلوخ قد سمع الخشخشة الناتجة عن شطر السكين له. فتحت النادلة رغيفي

الخبز ووضعت شرائح السجق بينهما. قال بلوخ أن لديه وقت وأنها تستطيع أن تعطي للطفل طلبه. رأى الطفل يحمل الورقة في يده صامتا. انحنت البائعة أمامه وقرأت ما بالورقة. وعندما قطعت اللحم، انزلقت قطعة من اللحم من فوق لوحة التقطيع وسقطت على الأرضية الحجرية. قال الطفل «طش» وظلت قطعة اللحم ملقاة في موضع سقوطها. رفعتها النادلة وكحتتها بنصل السكين ثم لفتها بالورق. بالخارج رأى بلوخ أطفال المدارس يسيرون بشماسي مفتوحة، رغم أن المطر قد توقف. فتح الباب للطفل وتأمل البائعة وهي تنزع جلد الأمعاء عن أطراف السجق وتضع شرائح السجق في الرغيف الثاني.

قالت البائعة أن أحوال العمل سيئة. «فالبيوت تقع على نفس الناحية من الشارع التي بها المحل، وعلى ذلك فأولا ليس هناك من يسكن بالجهة المقابلة ويستطيع أن يرى المحل من هناك، وثانيا، حينما يمر الناس، لا يسيرون أبدا على الجهة المقابلة، ولذلك يمرون ملاصقين لواجهة المحل ولا يتنبهون إلى وجوده، ولا سيما أن نوافذ عرض المحل ليست أكبر من نوافذ حجرات المعيشة في البيوت المجاورة.»

وتعجب بلوخ من عدم سير الناس على الناحية المقابلة رغم فضاء الأرض هناك، ووصول الشمس إليها أكثر. وقال، قد يكون هناك احتياج إلى السير بجانب البيوت! وضحكت البائعة التي لم تفهمه، لأنه أصيب بالقرف في وسط الجملة وأكملها مهمهما، وكأنها قد توقعت منه نكتة كرد على كلامها. وبالفعل أظلم المحل عند مرور

بعض الناس أمام نافذة العرض، حتى بدا الأمر كنكتة.

أولا... ثانيا... كرر بلوخ ما قالته البائعة؛ وبدت له قدرتها على بدء الكلام ومعرفتها أثناء ذلك بما ستنتهي إليه الجملة، أمرا مريبا. أكل شطائر السجق بالخارج أثناء السير. كور الورقة التي لفت فيها الشطائر ليرميها. لم تكن هناك سلة مهملات قريبة. وسار مدة من الزمن حاملا الورقة المكورة في يده، مرة في هذه اليد ومرة في اليد الأخرى. وضع الورقة في جيب معطفه، ثم أخذها من جيبه ثانية وألقاها عبر السور في أحد بساتين الفاكهة. وعلى الفور هرع الدجاج إليها من كل النواحي، لكنه عاد ثانية إلى مواضعه قبل أن ينقر الورقة المكورة.

ورأى بلوخ أمامه على الناحية الأخرى من الشارع ثلاثة رجال، اثنان منهم ارتديا زيا عسكريا وارتدى الثالث في وسطهما بدلة عيد سوداء ورابطة عنق طارت وتعلقت فوق كتفه إما بسبب السير بسرعة أو بسبب الريح. شاهد بلوخ اقتياد الحراس للغجري إلى داخل مبنى حرس الحدود. لقد ساروا جنبا إلى جنب حتى باب المبنى وتحرك الغجري، على ما يبدو، بحرية بين الحراس وتحدث معهم؛ لكن عندما دفع أحد الحارسين الباب ليفتحه، تلمس الحارس الأخر كوع الغجري من الخلف بخفة دون أن يمسكه. التفت الغجري إلى الحارس وراءه وابتسم بمودة؛ كانت ياقة القميص أسفل زر رابطة العنق مفتوحة. تخيل بلوخ كما لو أن الغجري واقع في شرك، وعندما يمس المرء ذراعه فليس لديه سوى أن ينظر مستضعفا بود إلى الحراس.

تبعهم بلوخ إلى داخل المبنى الذي به أيضا مكتب البريد؛ لقد أعتقد للحظة أنه عندما يراه الناس يأكل شطائر السجق في مكان عام، فلن يظن أحد أنه متورط في شيء ما. «متورط؟»، لا يجب عليه أبدا أن يفكر في وجوب تبرير وجوده هنا أثناء اقتياد الغجري بأي حدث من الأحداث كأكل السجق مثلا. بإمكانه أن يقدم مبررات فقط عندما يُحقق معه وأن توضع أمامه الدلائل؛ ولأن عليه تجنب مجرد التفكير أنه مطلوب للتحقيق، عليه أيضا ألا يفكر في تقديم مبرراته مسبقا فيما يخص هذه القضية؛ هذه القضية لا وجود لها من الأساس. إذن عندما يسألونه ما إذا كان قد رأى الحارسين يقتادان الغجري، فلا حاجة به لأن ينكر ويقول بأنه كان مشغولا بأكل شطائر السجق، بل بإمكانه بأن يعترف أنه كان شاهدا لاقتياد الغجري. «شاهدا؟» قاطع بلوخ نفسه أثناء انتظاره لمكالمة بمكتب البريد؛ «يعترف؟» ما علاقة هذه الكلمات بالحدث الذي لا معنى له؟ ألم تعط هذه الكلمات معنى للشيء الذي يريد أن ينكره؟ «ينكر؟» قاطع بلوخ نفسه ثانية. لم يكن هناك شيء يُنكر. لا بد أن يحترس من الكلمات التي تحول ما يقوله إلى نوع من الشهادة.

ونُودي عليه ليذهب إلى كابينة التليفون. كان ما يزال غارقا في فكرة تجنب الإحساس بأنه يريد أن يدلي بشهادة، وأثناء ذلك أكتشف أنه قد لف مقبض سماعة التليفون بمنديل. بقليل من الارتباك وضع المنديل في جيبه. كيف توصل إلى فكرة وجود الكلام غير الحذر على المنديل؟ أنصت، الصديق الذي أراد محادثته، ذهب مع فريقه إلى معسكر تدريب مغلق استعدادا للمباراة الهامة يوم

الأحد ولا يمكن الاتصال به تليفونيا. أعطى بلوخ موظفة البريد رقم تليفون أخر، فطلبت منه دفع ثمن المكالمة الأولى. دفع بلوخ وجلس على إحدى الدكك في انتظار المكالمة الثانية. رن جرس التليفون ونهض بلوخ. لكن ذلك لم يكن سوى إبلاغ لتلغراف تهنئة، كتبته موظفة البريد وراجعته مع المتصلين كلمة بكلمة. وأخذ بلوخ يقطع الصالة جيئة وذهابا. عاد أحد سعاة البريد وأخذ يحسب بصوت عال أمام الموظفة. جلس بلوخ. لم يكن هناك ما يشغله بالشارع في وقت ما بعد الظهيرة. نفذ صبر بلوخ لكنه لم يُظهر ذلك. سمع ساعي البريد يحكي أن الغجري قد اختبأ طوال اليوم بأحد مخابئ الحرس الجمركي على الحدود. وقال بلوخ «أي شخص يمكنه قول ذلك!» ألتفت ساعي البريد إليه وصمت. وكلما قال شيئا باعتباره خبرا جديدا، يرد بلوخ بأنه من الممكن قراءة ذلك في جريدة الأمس أو قبل الأمس أو قبل قبل الأمس. كل ما يقوله لا يعني أي شيء، لا شيء، لا شيء على الإطلاق. أدار ساعي البريد ظهره لبلوخ، أثناء حديث بلوخ، وتحدث مع موظفة البريد بصوت خفيض، واستمع بلوخ إلى الهمهمة التي تشبه المواضع التي لا تترجم عن قصد في الأفلام الأجنبية لتظل غير مفهومة. لم يصل بلوخ بملاحظته تلك إلى أي شيء. وفجأة تراءت له حقيقة مكتب البريد الذي «لم يتوصل فيه لشيء» ليس كحقيقة، بل كنكتة سيئة، كتلك الألاعيب الكلامية التي كان يمقتها من محرري الرياضة. وحتى حكاية ساعي البريد عن الغجري، بدت له كازدواجية فظة، كتلميح غير لائق، كذلك تلغراف التهنئة الذي كانت كلماته مألوفة بشكل يوحي بأنها لا يمكن أن

تعني فقط ما تقوله. ولم يكن ما يقال فقط عبارة عن تلميح، بل حتى الأشياء المحيطة كانت تريد أن توحي له بشيء ما. قال بلوخ لنفسه «وكأنها تريد أن تغمز لي وتعطيني إشارة!» وإلا فما معنى وجود غطاء زجاجة الحبر ملاصقا لزجاجة الحبر على الورق النشاف وما المقصود من وضعهم لورق نشاف جديد على المكتب، بحيث لم تكن هناك سوى بصمات قليلة يمكن قراءتها؟ أليس من الأصح استخدام «لكي» بدلا من «بحيث؟» لكي تكون البصمات مقروءة إذن؟ والآن رفعت موظفة البريد السماعة وتهجت تلغراف التهنئة. إلام تلمح الموظفة بذلك الفعل؟ ماذا تخفي وراء إملائها للعبارة «كل عام وأنتم طيبون؟» «تهانينا القلبية»: ما معنى ذلك؟ ماذا تعنيه هذه الصيغ؟ لمن كان الاسم المستعار «الجد والجدة الفخوران؟» لقد اعتبر بلوخ الإعلان الصغير الذي قرأه صباحا بالجريدة بعنوان «لماذا لا تتصل بالتليفون؟» فخا.

تخيل ساعي البريد وموظفة البريد في صورة معا. «موظفة البريد وساعي البريد» قال لنفسه مصححا. الآن أصيب هو نفسه في وضح النهار بمرض الألعاب الكلامية الكريه. «في وضح النهار؟» لا بد أنه قد اختلق هذه الكلمة. بدا له هذا التعبير مضحكا بصورة غير مريحة. هل كانت باقي كلمات الجملة أيضا غير مريحة؟ عندما يردد المرء كلمة «مرض»، يستطيع بعد بعض التكرارات أن يضحك عليها. «أصابني مرض»: أمر مضحك. «سأصبح مريضا»: أمر مضحك كذلك. «موظفة البريد وساعي البريد»؛ «ساعي البريد والموظفة»؛ «الموظفة وساعي البريد»: نكتة فريدة. هل تعرف نكتة

ساعي البريد وموظفة البريد؟ فكر بلوخ «كل ذلك يبدو كعنوان رئيسي»: «تلغراف التهنئة»، «غطاء زجاجة الحبر»، «بقايا الورق النشاف على الأرضية» رأى حامل الأختام المختلفة وكأنه مرسوم. تأمله لفترة، لكنه لم يتوصل إلى الشيء المضحك في حامل الأختام؛ ومن ناحية أخرى فلا بد أن يكون به شيء يثير الضحك وإلا فلماذا بدا له مرسوما؟ أو هل كان ذلك فخ ثان؟ هل تلخصت وظيفة هذا الشيء في جعل بلوخ يزل في كلامه؟ نظر بلوخ إلى ناحية أخرى، ثم إلى ناحية أخرى ثم إلى ناحية أخرى. هل تفيدكم هذه الختامة بأي معلومة؟ ماذا تقولون سيادتكم عندما ترون هذا الشيك المكتوب؟ بماذا يرتبط سحب الدرج في أذهانكم؟ تصور بلوخ كما لو أنه كان عليه جرد المكان، بحيث يمكن للأشياء التي يتلعثم إزاءها أو يتركها أثناء العد أن تكون دلائل. ضرب ساعي البريد باليد السطحية على الحقيبة الكبيرة التي ظلت معلقة على كتفه. «ضرب ساعي البريد على الحقيبة وعلقها» فكر بلوخ كلمة بكلمة. «الآن وضعها على المائدة وذهب إلى غرفة الطرود.» أنه يصف الأحداث وكأنه يستطيع فقط من خلال وصفه أن يتخيلها، مثلما يفعل مذيع الراديو مع الجمهور. أعانه ذلك بعد بعض الوقت.

ظل واقفا لأن جرس التليفون قد رن. وككل مرة حين يرن جرس التليفون، يعتقد أنه يعرف ذلك قبل الرنين بلحظة. وضعت موظفة البريد السماعة، ثم أشارت إلى الكابينة. وسأل نفسه وهو في داخل الكابينة إن كان قد أساء فهم حركة اليد، ربما لم تعني بها الموظفة أي شخص. رفع السماعة وطلب من زوجته السابقة، التي ردت

باسمها الأول وكأنها تعرف أنه هو المتكلم، أن تبعث له بعض النقود بالبريد. تبع ذلك صمت غريب. سمع بلوخ همسا لم يكن موجها له. سألته «أين أنت؟» قال أنه واقف محلك سر ومفلس على البلاطة وضحك كما لو أنه قال شيئا مضحكا جدا. لم ترد المرأة. ثم سمع بلوخ همسا مرة أخرى. قالت المرأة أنه من الصعب عليها عمل ذلك. سأل بلوخ، لماذا؟ وردت المرأة: إلى أين أرسل النقود؟ قال بلوخ أنه سينفض جيوبه فلسا، إن لم تمد له يد العون. صمتت المرأة ثم وُضعت السماعة على الناحية الأخرى.

وقال بلوخ لنفسه فجأة أثناء خروجه من الكابينة «جليد من العام الماضي.»* ماذا كان يقصد بذلك؟ في الواقع أنه قد سمع أنه يوجد عند الحدود كم كبير من الشجيرات الكثيفة، وقد يظل بداخلها بعض بقايا الجليد حتى بداية الصيف. لكنه لم يقصد ذلك. هذا بالإضافة إلى أنه ليس لديه ما يبحث عنه في الشجيرات الكثيفة. «ليس لديه ما يبحث عنه»** ماذا قصد بذلك؟ وفكر بلوخ «كيف يمكنني قول ذلك»؟

صرف في البنك عملة ورقية من فئة الدولار الواحد، كان يحملها معه منذ زمن بعيد. حاول أيضا تغيير عملة ورقية برازيلية، لكن البنك لا يشتري هذه العملة؛ إضافة إلى أن سعر صرفها لم يكن موجودا.

عندما دخل بلوخ كان الموظف يعد عملات ويلفها في على هيئة

---

* مقولة شائعة بالألمانية تعني أن شيئا قد مضى وانتهى أمره. المترجم

** ترجمة حرفية للاستخدام الشائع الذي يفيد أن على شخص ما ألا يتدخل فيما يعنيه. يحاول هاندكه التلاعب بالصيغ الشائعة الاستخدام واستخدامها بمعناها الحرفي. المترجم

صفوف ثم يربطها باستك. وضع بلوخ العملة الورقية أمام الحاجز. بجانبه كانت هناك علبة موسيقية؛ تبين لبلوخ بعد النظرة الثانية أنها كانت صندوق توفير لغرض خيري. رفع الموظف رأسه لكنه استمر في العد. دفع بلوخ بالعملة من تحت اللوح الزجاجي إلى الناحية الأخرى، دون أن يطلب منه الموظف ذلك. رص الموظف لفائف العملات في صف واحد إلى جانبه. مال بلوخ ونفخ في العملة الورقية على مائدة الموظف وفرد الموظف العملة ومسحها بطرف يده وتحسسها بأنامله. ولاحظ بلوخ أن أنامله سوداء. جاء موظف أخر من الغرفة الخلفية؛ وقال بلوخ لنفسه: لكي يشهد على شيء ما. طلب من الموظف أن يضع له العملات المعدنية الفكة – فلم يكن بين النقود عملة ورقية واحدة – في كيس ورقي، ودفع بالعملات تحت الحاجز الزجاجي مرة أخرى. وضع الموظف العملات في كيس ورقي بنفس الطريقة التي رص بها لفات العملات في السابق ودفع الكيس لبلوخ ثانية. وتخيل بلوخ لو أن كل الناس طلبوا أن توضع نقودهم في أكياس، فمن الممكن أن يخرب البنك بمرور الوقت؛ كذلك يمكن أن يحدث ذلك مع كل أنواع التسوق: ربما قد يودي استهلاك مواد التغليف شيئا فشيئا بالشركات إلى الإفلاس؟ عموما، كان تخيل ذلك مريحا.

اشترى من أحد محلات بيع الأدوات الكتابية، خريطة للتجوال بالمنطقة؛ جعل البائعة تلفها له جيدا واشترى معها قلم رصاص؛ وطلب أن يوضع القلم الرصاص في كيس ورقي. وأكمل سيره بلفة الخريطة في يده؛ بدا لنفسه الآن أقل خطورة عن ذي قبل، حين كانت

يداه فارغتين.

جلس على دكة خارج المنطقة، في موضع يمكنه من خلاله أن يلقي بنظرة عامة على المنطقة، وقارن بالقلم الرصاص بين تفاصيل الخريطة والتفاصيل على الطبيعة أمامه. توضيح العلامات: هذه الدوائر تعني غابات نفضية، تلك المثلثات تعني غابات شوكية. وعند النظر من الخريطة إلى الموقع على الطبيعة، تكون المفاجأة أن الخريطة صائبة. لابد أن تكون الأراضي وحلة على الناحية المقابلة هناك؛ ويجب أن يكون في الناحية الأخرى تمثال قديس؛ وهناك لا بد أن يوجد مزلقان قطار. وعندما تسير بطول الطريق الزراعي، لا بد أن تعبر كوبري ثم تصل إلى طريق البضائع، ثم عليك أن تصعد مرتفع قد يقف بأعلاه شخص ما، ومن هذا الطريق عليك أن تنعطف وتمشي عبر هذا الحقل، ثم في هذه الغابة، لحسن الحظ أنها غابة شوكية وقد يقابلك بعض الأشخاص هناك، بحيث يكون عليك أن تغير اتجاهك وأن تنزل هذا المنحدر إلى تلك المزرعة وأن تمر بهذا المخزن الخشبي، وإذا ما مشيت بطول هذا الجدول، فلا بد أن تقفز عند هذا الموضع، لأنه من الممكن أن تأتي سيارة جيب في اتجاهك، ثم تجري أنت في خط متعرج عبر أرض زراعية، وتمرق عبر هذا السور الحي من النباتات إلى الشارع، حيث تمر عربة نقل، توقفها، الآن أنت في أمان. تلعثم بلوخ «عندما يتعلق الأمر بجريمة قتل، يقفز المرء بأفكاره»، سمع أحدهم يقول ذلك في أحد الأفلام.

ارتاح لرؤيته مربعا على الخريطة لم يجد مقابلا له على الطبيعة؛ المنزل المفترض أن يكون هناك، لم يكن هناك والشارع الذي انعطف

في هذا الموضع، كان على الطبيعة مستقيما. تخيل بلوخ أن مثل هذا النوع من عدم التطابق قد يساعده.

راقب كلبا، كان يجري بأحد الحقول باتجاه رجل؛ ثم لاحظ أنه لا يراقب الكلب بل الرجل الذي كان يتحرك مثل شخص يريد اعتراض طريق شخص أخر. والآن رأى طفلا يقف خلف الرجل؛ ولاحظ أنه لا يلاحظ الرجل والكلب، كما هو معتاد، بل الطفل الذي بدا أنه يرفس بيديه وقدميه؛ لكنه لاحظ أن صراخ الطفل جعله يتهيأ رفسه بيديه وقدميه. في هذه الأثناء أمسك الرجل الكلب من طوق رقبته ومشى الثلاثة الرجل والكلب والطفل في اتجاه واحد. قال بلوخ لنفسه «من كان المقصود بذلك؟»

وأمامه على الأرض كانت هناك صورة أخرى: نمل، اقترب النمل من فتات خبز. لاحظ مرة أخرى أنه لا يراقب النمل، بل الذبابة الراقدة على بقايا الخبز.

كان كل ما رآه ملحوظا بمعنى الكلمة. لم يتصور فقط أن الصور طبيعية، بل لقد بدت وكأنها قد صُنعت خصيصا له. كان لها وظيفة. عندما نظر إليها قفزت بمعنى الكلمة في عينيه. قال بلوخ لنفسه «مثل جرس التليفون.» مثل الأوامر! عندما أغلق عينيه لبعض الوقت ثم نظر ثانية بدا له أن كل شيء قد تغير بمعنى الكلمة. بدا له أن حواف المناظر التي رآها تومض وتهتز.

تحرك بلوخ من وضع الجلوس دون أن ينهض بشكل صحيح ومشى. بعد فترة ظل واقفا. ثم من الوقوف إلى الجري. ثم عاد بسرعة وتوقف فجأة، وغير اتجاهه، جرى بخطوات منتظمة، الآن

بدل الخطوة، ثم بدل الخطوة مرة ثانية وتوقف، الآن جري للخلف، استدار أثناء الجري للخلف، ثم عاد للجري للأمام، استدار للجري للخلف، مشى للخلف، ثم استدار للجري للأمام، ثم انتقل بعد بعض الخطوات إلى الجري السريع، ثم توقف بحدة وجلس على حافة صخرة، ثم تحرك في الحال من وضع الجلوس مستمرا في الجري.

عندما توقف بعد ذلك ثم أكمل سيره، بدا له أن الصور مغبشة عند الحواف؛ ثم عم السواد فلم تتبقى سوى دائرة في المنتصف. قال بلوخ لنفسه «مثلما ينظر أحدهم في فيلم ما عبر تلسكوب.» مسح عرق ساقيه ببنطلونه. مر بقبو لمعت فيه وريقات الشاي بصورة فريدة، حيث كان باب القبو مواربا. قال بلوخ لنفسه «مثل البطاطس.»

وبالطبع كان البيت الذي وقف أمامه من دور واحد، وكانت دفتي نافذته مثبتتين بخطافيهما. فوق حجارة السطح كانت هناك طحالب (يا لها من كلمة أيضاً)!، كان الباب مغلقا، وقد كتب عليه: الأكاديمية الشعبية، كان هناك شخص يقوم بتقطيع الحطب في الحديقة، لا بد أنه فراش المدرسة، صحيح، وبالطبع لا بد أن يكون أمام المدرسة سور من النباتات الحية، نعم، صحيح، ليس هناك شيء ناقص، و لا حتى قطعة الإسفنج تحت السبورة داخل حجرة الدراسة المعتمة، وعلبة الطباشير بجانبها، ولا حتى أنصاف الدوائر المرسومة بالخارج تحت النوافذ لتقر أنها ناتجة عن احتكاك خطافات الشبابيك. وكأن جميع الأشياء التي رآها أو

سمعها قد أقرت له أنها صحيحة.

كان صندوق الفحم في حجرة الدراسة مفتوحا، ومن الممكن رؤية عصا جاروف الفحم (كذبة أبريل!) في الصندوق، بالإضافة إلى الأرضية ذات الألواح الخشبية العريضة ذات الشقوق التي ما تزال مبللة من أثر الغسيل، و لا يجب نسيان الخريطة المعلقة على الحائط، وحوض الغسيل بجانب السبورة، وأوراق الذرة على حافة النافذة: المحاكاة الوحيدة السيئة! أكاذيب أبريل هذه لن تخدعه.

لقد بدا وكأنه قد دخل في دوامات أكبر فقد نسي مانع الصواعق المعلق بجانب الباب والآن تراءت له الكلمة كمفردة قاموسية. ينبغي عليه أن يبدأ. وأعان نفسه بأن مر من خلف المدرسة ودخل الفناء وتحدث مع فراش المدرسة في الكوخ الخشبي. كوخ خشبي، فراش مدرسة، فناء: مفردات قاموسية. شاهد فراش المدرسة وهو يضع قطعة حطب على القرمة، ثم يرفع البلطة لأعلى شاحذا عزمه. في هذه الأثناء تحدث بلوخ من الفناء ورد الفراش القابع بالداخل، وعندما ضرب على قطعة الحطب وقعت إلى جانب قبل أن يصيبها، وضرب في القرمة وانتشر الغبار نتيجة لذلك. وانهارت كومة الحطب التي لم تقطع بعد في الخلفية. مفردة قاموسية ثانية! ولم يحدث شيء بعد ذلك سوى أنه قد سأل الفراش في الكوخ الخشبي شبه المظلم، إن كانت هذه هي الحجرة الدراسية الوحيدة لكل سنين الدراسة. وأجاب الفراش بأنها هي الحجرة الدراسية الوحيدة لكل فصول الدراسة.

لا عجب، أن يتخرج الأطفال من المدرسة ولم يكونوا قد تعلموا

حتى مجرد الكلام، قال الفراش ذلك فجأة، وقد رشق البلطة أثناء ذلك في القرمة وخرج من الكوخ: لم يتمكنوا حتى من إكمال جملة لآخرها، إنهم يتحدثون إلى بعضهم البعض بكلمات مفردة تقريبا، ولا يتحدثون إلا عندما يُسألون وعندما لا يُسألون لا يتحدثون إطلاقا وكل ما يتكلمونه عبارة عن مادة للحفظ، يرددونها عن ظهر قلب؛ بالإضافة إلى أنهم غير قادرين على تكوين جمل كاملة. قال الفراش «في الواقع أنهم جميعا، أكثر أو أقل بكما.»

ماذا يعني ذلك؟ إلام يرمي فراش المدرسة؟ ما شأنه هو بحكايات الفراش؟ لا شيء؟ نعم، إذن فلماذا يتصرف الفراش وكأن لبلوخ شأن بهذه الحكايات؟

كان بإمكان بلوخ أن يجيب، لكنه لم يسمح لنفسه بذلك. فحينما يبدأ في الحديث فعليه أن يستمر. لذلك تجول قليلا في الفناء وساعد الفراش في جمع الحطب الذي تطاير من الكوخ أثناء التقطيع، ثم تّسحب رويدا رويدا بشكل غير ملحوظ وعاد إلى الشارع، واستطاع الابتعاد دون أية معوقات.

مر بالساحة الرياضية. كان لاعبو الكرة يتدربون بعد انتهاء العمل. كانت أرض الملعب شديدة البلل مما جعل قطرات المياه تتناثر من النجيل، عندما يركل أحد اللاعبين الكرة. شاهد بلوخ لبعض الوقت، ثم أخذت الشمس تغرب فأكمل بلوخ سيره.

في مطعم المحطة أكل كفتة وشرب بعض أكواب البيرة. ثم جلس على إحدى الدكك على رصيف المحطة بالخارج. تمشت فتاة بحذاء ذي كعب عالي فوق الحصى جيئة وذهابا. رن جرس التليفون في

إدارة خدمة النقل. وقف موظف على الباب وأخذ يدخن. خرج أحد الأشخاص من حجرة الانتظار وظل واقفا. تكرر الرنين في حجرة إدارة خدمة النقل وسمع حديث بصوت عال وكأنما يتحدث شخص ما في التليفون. في هذه الأثناء حل الظلام.

كان كل شيء هادئا نوعا ما. رأى في أماكن متفرقة أشخاصا يشدون نفسا من سيجارتهم. فُتح صنبور عن آخره ثم أُغلق ثانية. وكأن شخصا ما قد فزع! على مسافة أبعد تحدث بعض الناس في الظلام؛ سمع أصوات واضحة كما في حالة الغفوة: آه، إي. نادى شخص: أو! لم يتمكن من تحديد إن كان المنادي رجلا أم امرأة. ومن بعيد جدا سمع أحدهم يقول «تبدو منهكا!» كذلك رأى أحد عمال السكة الحديد يقف بوضوح بين قضبان السكة الحديد ويحك برأسه. فكر بلوخ في أن ينام.

تمكن من رؤية قطار عند دخوله المحطة. ورأى بعض الناس أثناء نزولهم منه وقد بدا عليهم التردد في النزول. آخر الأمر نزل شخص مخمور وأغلق الباب بعنف. رأى الموظف يعطي إشارة للقطار من على رصيف المحطة ورأى القطار ينطلق.

قرأ بلوخ خط سير القطارات في حجرة الانتظار. لم يمر أي قطار آخر في هذا اليوم. على أية حال، لقد تأخر الوقت جدا بحيث حان أوان الذهاب للسينما.

جلس بعض الناس في الصالة الخارجية للسينما. جلس بلوخ إليهم حاملا تذكرة السينما في يده. ثم جاء المزيد والمزيد من الناس. وسره سماع الأصوات الكثيرة. مشى بلوخ أمام السينما ثم وقف

بمكان ما أمامها ثم دخل إلى صالة العرض.

في الفيلم أطلق أحدهم الرصاص من مسافة بعيدة على رجل كان جالسا بظهره بجانب نار مخيم. لم يحدث شيء؛ لم يسقط الرجل، بل بقي جالسا ولم يبحث حتى عن مصدر الرصاص. مرت فترة من الوقت. ثم سقط الرجل ببطء إلى جانب وبقي راقدا بلا حراك. قال الرامي لرفيقه، دائما تلك الأسلحة القديمة، ليست لديها قوة ضاربة. الحقيقة أن الرجل كان ميتا بالفعل أثناء جلوسه أمام النار.

بعد الفيلم خرج بلوخ مع صبيين بسيارة إلى الحدود. اصطدم حجر بالسيارة من أسفل؛ انتبه بلوخ الذي كان جالسا بالخلف. ولأن اليوم هو يوم صرف الأجور لم تكن هناك أية مائدة خالية. انضم إلى الجالسين على أحد الموائد. جاءت المستأجرة ووضعت يدها على كتفه. ففهم وطلب عرقي لجميع الجالسين على المائدة.

وضع عملة ورقية مطوية من أجل الحساب. فرد أحد الجالسين بجانبه العملة وقال أنه من الممكن أن تكون هناك عملة أخرى مختبئة بداخلها. قال بلوخ: وعند ذلك؟ ثم طوى العملة مرة أخرى. فرد الصبي العملة ووضع مطفأة سجائر فوقها. أمسك بلوخ بمطفأة السجائر وألقى بأعقاب السجائر في وجه الصبي. سحب أحدهم الكرسي من وراءه، بحيث انزلق تحت المائدة.

نهض بلوخ وسدد للصبي الذي سحب الكرسي من وراءه ضربة في الصدر بأسفل ذراعه. سقط الصبي مرتطما بالحائط وأخذ يتأوه بصوت عال لأنه لم يعد قادرا على التنفس. لف بعضهم ذراع

بلوخ وراء ظهره ثم دفعوه باتجاه الباب إلى الخارج. لم يسقط لكنه ترنح وعاد مباشرة إلى الداخل.

ضرب باتجاه الصبي الذي فرد العملة. تلقى ركلة من الخلف وسقط مع الصبي على الطاولة. لكنه استمر في ضربه أثناء السقوط.

أمسكه أحدهم من ساقيه وسحبه بعيدا. ركله بلوخ في ضلوعه فتركه. أمسكت مجموعة أخرى ببلوخ وجروه إلى الخارج. في الشارع وضعوه في صندوق البخار وأخذوا يسوقونه جيئة وذهابا. ظلوا واقفين معه أمام مبنى التفتيش الجمركي، ضغطوا برأسه على الجرس ثم ذهبوا.

خرج أحد موظفي التفتيش الجمركي ورأى بلوخ واقفا ثم دخل ثانية. جرى بلوخ خلف الصبية وأوقع باحدهم من الخلف. انقض الآخرين عليه. تخلص بلوخ منهم واصطدم برأسه في بطن أحدهم. وخرجت مجموعة أخرى من الحانة وألقى أحدهم بمعطف فوق رأس بلوخ لكنه سقط عند قصبة رجله فقام أخر بربط كمي المعطف حول ساقيه وطرحوه أرضا بسرعة ثم عادوا إلى الحانة.

تخلص بلوخ من المعطف وجرى وراءهم. ظل أحدهم واقفا دون أن يلتفت. هرع بلوخ إليه؛ وعلى الفور تحرك الصبي، ووقع بلوخ على الأرض.

نهض بعد فترة ودخل إلى الحانة. أراد أن يقول شيئا، لكن عند تحريكه للسانه، ظهرت فقاعات الدم في فمه. جلس على إحدى الموائد وأشار بإصبعه أنه يريد شيئا يشربه. أحضرت له النادلة زجاجة بيرة بدون كوب. لم يبال به الآخرون الجالسون على

المنضدة. ظن أن هناك ذبابات صغيرة تمشي فوق المائدة، لكن ذلك لم يكن سوى دخان سجائر.

خارت قواه بحيث لم يعد قادرا على رفع زجاجة البيرة بيد واحدة؛ لذلك أحاط الزجاجة بكلتا يديه ومال بجسده لكي لا يحتاج إلى رفع الزجاجة عاليا. كانت أذناه مرهفتين لدرجة أنه أحس أن أوراق اللعب لا تسقط على المائدة بل تقرع وأن قطعة الإسفنج لا تسقط في الماء بل ترتطم به؛ لم تسر ابنة المستأجرة بقبقاب خشبي في قدميها الحافيتين عبر صالة المطعم بل قرقعت عبر صالة المطعم. لم ينساب النبيذ في الكؤوس بل خر فيها. ولم يعزف جهاز الاسطوانات الأوتوماتيكي بل كان له دوي.

سمع امرأة تصرخ فزعا، لكن صرخة امرأة في الحانة لم تكن تعني شيئا؛ إذن فلا يمكن أن تكون المرأة قد صرخت فزعا. رغم ذلك فقد أثارته الصرخة؛ فقط بسبب الضجة، لقد صرخت المرأة بصوت حاد.

وتدريجيا فقدت التفاصيل أهميتها: لم تعني له رغوة البيرة في الزجاجة الكثير، مثلها مثل علبة السجائر التي فتحها صبي عن أخرها ووضعها بجانبه، بحيث يستطيع أن يسحب منها سيجارة بأظافره. كذلك لم تعد تشغله أعواد الثقاب المحترقة المدسوسة في كثير من المواضع التي تفكك لصقها على الشريط اللاصق بين الأرضية والحائط، ولم تعد أثار الأظافر على المعجون الذي دهن به إطار النافذة تبدو وكأنها تعنيه. جعلته كل الأشياء باردا، نهض في مكانه؛ قال لنفسه، كما في حالة السلم. لن يحتاج إلى استخلاص

أية استنتاجات من ديك البراري المحنط فوق جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي؛ لم تعد الذبابات النائمة على سقف الحجرة تلمح إلى أي شيء.

رأى أحد الصبية يمشط شعره بأصابعه وفتيات يمشين للوراء باتجاه حلبة الرقص وصبية ينهضون ويزررون معاطفهم، وسمع أوراق اللعب تمتط عند خلطها، لكن لا يجب التوقف عند ذلك.

أصبح بلوخ متعبا. وكلما زاد تعبه، كلما زاد إدراكه للأشياء وضوحا وفرق بينها. رأى أن الباب يظل مفتوحا عند خروج أحدهم ورأى شخصاً يقوم دائما ويغلق الباب. كان متعبا جدا للدرجة التي جعلته يرى كل شيء على حدة، رأى بالأصح رسوم كروكية، وكأن الأشياء ليست سوى مجرد رسوم كروكية. رأى وسمع كل شيء دون وسيط، دون أن يحتاج إلى ترجمتها أولا إلى كلمات، أو أن يستوعبها ككلمات وألعاب كلامية، كما كان عليه أن يفعل في السابق. كان في حالة، تراءى له فيها كل شيء طبيعيا.

جلست المستأجرة بعد ذلك إلى جانبه وأحاطها بذراعها بتلقائية شديدة، بحيث بدا أنها لم تلحظ ذلك. ثم وضع بعض العملات في جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي، رقص فقط مع المستأجرة وكأن شيئا لم يحدث. لاحظ أنها كلما قالت له شيئا تخاطبه باسمه.

لم يكن هناك شيء آخر سوى أنه رأى النادلة تعقد يدا بالأخرى ولم يكن على الستائر السميكة شيئا مميزا، وكان أمرا طبيعيا أن يزداد عدد المنصرفين. مع الهدوء أمكنه أن يسمعهم يقضون حاجاتهم بالخارج ثم يكملون سيرهم.

أصبحت الحانة أكثر هدوئا، بحيث دارت الأسطوانات في جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي بوضوح تام. وفي فترة السكون ما بين أسطوانتين، تحدث بلوخ بصوت خفيض أو كتم أنفاسه؛ وارتاح عند تشغيل الأسطوانة الجديدة. بدا لبلوخ أنه يمكن اعتبار هذه الأحداث شيئا متكررا؛ قال لنفسه، شيء يومي؛ مثل ما يُكتب عادة على البطاقات البريدية السياحية «وفي المساء نجلس في الحانة ونسمع الأسطوانات.» إنه يزداد تعبا وبالخارج سقطت التفاحات من فوق الأشجار.

وعندما لم يبق أحد بالحانة سواه، ذهبت المستأجرة إلى المطبخ. ظل بلوخ جالسا وانتظر حتى نهاية الأسطوانة. أوقف تشغيل جهاز الأسطوانات الأوتوماتيكي، بحيث لم يعد هناك ضوء سوى في المطبخ. جلست المستأجرة على المائدة وأخذت تحسب. جاء بلوخ إليها وبيده غطاء ورقي لأكواب البيرة. رفعت رأسها ونظرت إليه عند خروجه من صالة المطعم باتجاهها. وبعد فوات الأوان تذكر غطاء البيرة، لقد أراد إخفاءه، قبل أن تراه المستأجرة، لكنها نظرت إلى غطاء البيرة وسألته عما يريد أن يفعل به، هل أحضره لها لأنها كتبت عليه حسابا لم تحصله بعد. أسقط بلوخ غطاء البيرة وجلس بجانب المستأجرة، ولم يكن الفعلان متتاليين بل تما أثناء تردده في كل حركة. استمرت في العد وتحدثت أثناء ذلك معه، ثم لمت النقود. قال بلوخ أنه قد نسى غطاء البيرة في يده وأن ذلك لا يعني شيئا.

ودعته أن يأكل معها شيئا. وضعت أمامه لوحة خشبية. وقال بلوخ، ليس هناك سكين وأثناء ذلك وضعت هي السكين بجانب

اللوحة الخشبية. قالت أنها يجب أن تحضر الغسيل من الحديقة فقد بدأ المطر الآن. قال لها مصححا أن السماء لا تمطر، بل الأشجار، لأن الجو عاصف بعض الشيء. لكنها خرجت في هذه الأثناء، ولأنها تركت الباب مفتوحا رأى بالفعل أن السماء تمطر. رآها عائدة ونادى عليها قائلا أن قميصا قد سقط منها، واتضح أنه لم يكن قميصا بل خرقة لمسح الأرضية كانت موضوعة من قبل بجانب المدخل. وعندما أضاءت شمعة، رأى بلوخ نقاط الشمع تسقط في الطبق، لأنها أمسكت بالشمعة بشكل مائل بعض الشيء. قال لها أن تنتبه، فالشمع يسيل على الطبق النظيف. لكنها أوقفت الشمعة على الشمع السائل وضغطتها عليه، حتى وقفت. قال بلوخ «لم أكن أعرف أنك تريدين وضع الشمعة فوق الطبق.» وهيئت نفسها للجلوس في موضع ليس به كرسي ونادى بلوخ: «احترسي»!، لكنها نزلت في هذه الأثناء على الأرض ورفعت عملة كانت قد سقطت أثناء العد. وعندما ذهبت إلى غرفة النوم لتطل على الطفلة، نادى عليها في الحال؛ بل عندما قامت ذات مرة من مكانها على المائدة، نادى عليها سائلا إياها، إلى أين تريد أن تذهب. قامت بتشغيل الراديو الموضوع على خزانة المطبخ؛ كان جميلا أن يراها رائحة وغادية والموسيقى تنبعث من الراديو أثناء ذلك. عندما قام أحدهم بتشغيل الراديو في أحد الأفلام قُطع الإرسال وأُذيع إعلان للبحث عن أحد المجرمين.

وأثناء جلوسهما على المائدة تحدثا سويا. وتراءى لبلوخ أنه غير قادر على أن يقول شيئا جادا. وأخذ يطلق النكات، لكن المستأجرة

كانت تأخذ كل ما يقوله حرفيا. قال أن بلوزتها مخططة مثل رداء كرة القدم وأراد أن يكمل حديثه لكنها سألته إن كانت بلوزتها لا تعجبه، وماذا يعيب البلوزة. ولم يُجد تأكيده أنه كان يمزح فقط، وأن البلوزة تناسب بشرتها الباهتة؛ فسألته أيضا إن كان يرى بشرتها باهتة. قال أيضا مازحا، أن المطبخ يقارب في تجهيزاته مطابخ المدينة، وسألته لماذا «يقارب.» هل يحافظ الناس هناك على حاجياتهم بصورة أنظف أم ماذا؟ بل حينما قال بلوخ نكتة عن ابن صاحب الضيعة (إن كان قد قدم لديها طلبا بالزواج) فردت ابن صاحب الضيعة ليس خاليا. وأراد من خلال مقارنة أن يوضح أنه لم يقصد ذلك جديا، لكنها أخذت المقارنة أيضا حرفيا. قال بلوخ أنه «لم يعني بذلك أي شيء»، وقالت هي «لا بد أن لديك دافعا لقول ذلك.» ضحك بلوخ. سألته المستأجرة، لماذا يهزأ منها.

نادت الطفلة من حجرة النوم. دخلت إليها وهدئتها. وعندما عادت كان بلوخ قد نهض من مكانه. ظلت واقفة أمامه ونظرت إليه لبعض الوقت. ثم تحدثت عن نفسها. ولأنها وقفت قريبا جدا منه لم يتمكن من الإجابة ورجع خطوة للوراء. لم تتبعه، لكنها تلعثمت في الكلام. وأراد بلوخ أن يلمسها. وعندما حرك يده مؤخرا، كانت هي قد نظرت إلى جانب. ترك بلوخ يده تسقط، وكأنه كان يمزح. جلست المستأجرة على الناحية الأخرى من المائدة واستمرت في الحديث.

أراد أن يقول شيئا، لكنه لم يتذكر، ما يريد قوله. حاول أن يتذكر: لم يتذكر الموضوع، لكنه كان شيئا له علاقة بالاشمئزاز. ثم ذكرته حركة يد قامت بها المستأجرة بشيء أخر. ولم يخطر بباله أيضا،

ما هو ذلك الشيء، لكنه كان شيئا له علاقة بالخجل. ما أدركه من حركات وأشياء لم تذكره بحركات وأشياء أخرى، بل بأحاسيس ومشاعر؛ إنه لا يتذكر المشاعر كشيء مضى، بل إنه يعايشها مرة أخرى كشيء حاضر؛ لم يتذكر الخجل والاشمئزاز، بل لقد خجل واشمئز عند تذكره، دون أن تخطر بباله الأشياء التي لها علاقة بالخجل والاشمئزاز. كان الاشمئزاز والخجل معا شديدين جدا لدرجة أنه بدأ في الهرش في كل أنحاء جسمه.

بالخارج اصطدم معدن بزجاج النافذة. وأجابت المستأجرة على سؤاله، وقالت أن سلك مانع الصواعق غير مثبت جيدا. بلوخ الذي رأى مانعا للصواعق بالمدرسة، فهم هذا التكرار على أنه تكرار مقصود، إذ أنه من غير الممكن أن ترد كلمة مانع الصواعق مرتين وراء بعضهما. لقد بدت كل الأشياء متشابهة؛ ذكرته كل الأشياء ببعضها البعض. ماذا كان المقصود بالورود المتكرر لمانع الصواعق. يا ترى ما الذي يجب عليه استقراءه من مانع الصواعق؟ «مانع الصواعق؟» أغلب الظن أنها لعبة كلامية؟ هل كان المقصود أنه لن يصاب بضرر؟ أو كان ذلك تلميحاً بأن عليه أن يحكي للمستأجرة كل شيء؟ لماذا اتخذت قطع البسكويت على الطبق الخشبي هناك شكل السمك؟ إلام تلمح قطع البسكويت؟ هل ينبغي عليه أن «يبقى صامتا كسمكة؟» هل لم يعد مسموحا له بالكلام؟ هل لمحت له قطع البسكويت على الطبق الخشبي بذلك؟ بدا وكأنه لم ير شيئا من ذلك كله، بل قرأه في مكان ما، من ملصق به قواعد وتعليمات للسلوك.

نعم لقد كانت قواعد وتعليمات للسلوك. لقد أمرته خرق التنظيف المعلقة على صنبور المياه بشيء. وطالبه غطاء زجاجة البيرة الموضوع على المائدة التي خلت في هذه الأثناء إلا من سواه بشيء ما. لقد أصبح الأمر عاديا: أصبح يرى أوامر في كل مكان: أمر بأن يفعل والأخر بألا يفعل. لقد تمت صياغة كل الأشياء مسبقا من أجله، رف عليه علبات البهارات، رف عليه برطمانات مربى تم طهيها حديثا... تتكرر الأشياء. لاحظ بلوخ أنه لم يعد يتحدث مع نفسه منذ فترة: وقفت المستأجرة عند حوض غسيل المواعين وجمعت بقايا الخبز من أطباق الفناجين. قالت أن المرء يجب أن ينظف ويرتب وراءه دائما، إنه لا يغلق حتى درج المائدة الذي أخذ منه الشوكة والسكين، والكتب التي قلب فيها يتركها مفتوحة، ويخلع المعطف ويتركه يسقط.

أجاب بلوخ بأن لديه فعلا الإحساس بأن يترك كل شيء يسقط. لم يبق سوى أن يترك مثلا مطفأة السجائر التي بيده؛ إنه يسأل نفسه عن سر بقاء مطفأة السجائر في يده حتى الآن. نهض حاملا مطفأة السجائر في يده. نظرت إليه المستأجرة. نظر لفترة إلى مطفأة السجائر ثم وضعها بعيدا. ولكي يسبق التلميحات المحيطة التي تتكرر، كرر بلوخ ما قاله. لقد كان مغلوبا على أمره بصورة جعلته غير قادر على شيء سوى تكرار ما يقوله. رأى المستأجرة تنفض ذراعها فوق حوض الغسيل. وقالت أن قطعة تفاح قد دخلت في كمها ولا تريد أن تخرج. لا تريد أن تخرج؟ قلد بلوخ كذلك نفضها لذراعها. وتصور بلوخ أنه حين يقلد كل شيء فإنه سيكون في أمان.

لكنها لاحظت وقلدت تقليده لها.

في هذه الأثناء اقتربت من الثلاجة التي كان عليها علبة تورتة. وتأملها بلوخ وهي تلمس علبة التورتة من الخلف أثناء تقليدها له. ولأنه كان يراقبها بعناية ارتطم كوعها مرة ثانية للخلف. أخذت علبة التورتة في الانزلاق واندلقت ببطء على الحواف المستديرة للثلاجة. كان بإمكان بلوخ أن يلتقطها، لكنه انتظر حتى ارتطمت بالأرضية. وأثناء انحناء المستأجرة على العلبة، أخذ يتحرك هنا وهناك، وأزاح حيث ذهب ووقف الأشياء إلى الزاوية، أزاح كرسي، وولاعة على الموقد وكأس للبيض المسلوق ومائدة مطبخ. سألها «هل كل شيء على ما يرام؟» أنه يطرح عليها الأسئلة التي تريد هي أن تطرحها عليه. وقبل أن تجيب، سمع طرقا على النافذة لكنه لا يمكن أن يكون من سلك مانع الصواعق. لقد توصل بلوخ إلى هذا قبل حدوثه بلحظة.

فتحت المستأجرة النافذة. بالخارج وقف أحد موظفي الجمارك، كان في طريقه إلى منزله وطلب منها مظلة. وقال بلوخ أنه يستطيع أن يذهب معه وأخذ من المستأجرة المظلة المعلقة تحت بنطلون العمل على إطار الباب. ووعد أنه سيعيدها في اليوم التالي. وإذا لم يحضرها، فلن يحدث شيء في هذه الأثناء.

فتح المظلة في الشارع؛ كان خرير المطر عاليا جدا لدرجة أنه لم يسمع إن كانت قد أجابته أم لا. وجرى موظف الجمارك بجانب حائط المبنى ثم دخل تحت المظلة وسارا معا.

أُطفئ النور في الحانة بعد أن سارا عدة خطوات وساد الظلام

التام. كانت العتمة شديدة جدا لدرجة أن بلوخ وضع يده أمام عينه. سمع خلف السور الذي مرا به شخير الأبقار. مر شيء أمامه. وكان لأوراق الشجر على جانب الشارع حفيف. قال موظف الجمارك «كنت على وشك أن أدهس قنفذا!»

سأله بلوخ، كيف رأى القنفذ في الظلام؟ أجاب الموظف: «إن ذلك جزء من مهنته. فعند رؤيته لحركة أو سماعه لصوت، فلا بد له أن يكون قادرا على تحديد الشيء الذي صدر منه الصوت أو الحركة. بل إن عليه التعرف على الأشياء المتحركة على أقصى طرف شبكية العين، عليه كذلك أن يحدد لون الشيء، برغم أن الألوان لا يمكن رؤيتها مكتملة إلا في مركز الشبكية» وكانا في هذه الأثناء قد تخطيا البيوت الواقعة عند الحدود واتخذا طريقا مختصرا بجانب الجدول المائي. كان الطريق مفروشا برمل ازدادت نصاعته كلما تعود بلوخ على الظلمة.

قال موظف الجمارك «بصراحة، إننا هنا تقريبا بلا عمل، فمنذ لُغمت الحدود لم يعد هناك تهريب. وبالتالي تنعدم الإثارة شيئا فشيئا، ويصبح الواحد متعبا ولا يمكنه التركيز. وعندما يحدث شيء بالفعل، لا يكون قادرا على الاستجابة.»

رأى بلوخ شيئا يجري باتجاهه وانسحب وراء موظف الجمارك. كان كلب قد مر به وتمسح فيه.

«عندما يقابلك أحدهم في الطريق لا تستطيع أن تعرف كيف تمسك به. فأنت تقف من البداية بشكل خاطئ. وعندما تقف بشكل صحيح، تعتمد على أن زميلك الواقف بجوارك سيمسك به، وعندما

يعتمد الزميل عليك في الإمساك به – يهرب الشخص المستهدف» يهرب؟ سمع بلوخ موظف الجمارك بجانبه تحت المظلة يلتقط أنفاسه. سمع صوت خشخشة في الرمل خلفه واستدار فرأى الكلب عائدا. أكملا سيرهما وجرى الكلب معهما وتشمم باطن ركبة بلوخ. وقف بلوخ وكسر فرعا من شجرة البندق وأبعد الكلب بها.

وأكمل موظف الجمارك «وعندما تقف في مقابل الشخص المستهدف فعليك أن تنظر في عينيه. وقبل أن يجري تقول لك عيناه الاتجاه الذي سيذهب إليه. لكن لا بد أيضا أن تراقب الساقين. على أي ساق يقف؟ سيجري في الاتجاه الذي تشير إليه الساق الواقفة، وإذا ما أراد أن يخادعك وألا يمشي في هذا الاتجاه، فإن عليه أن يغير الساق التي يقف عليها بسرعة قبل أن ينطلق وسيضيع بهذا وقتا كثيرا، وبالتالي يمكنك من أن تنقض عليه» نظر بلوخ إلى الجدول المائي الذي كان من الممكن سماع خريره، ولم تكن رؤيته ممكنة. طار طائر ثقيل من بين الحشائش. في إحدى العشش الخشبية سمع دجاجا ينبش وينقر بمنقاره الألواح الخشبية من الداخل. وقال موظف الجمارك «ليست هناك قاعدة. وهناك دائما عيب ألا وهو أن الأخر يرقبك أيضا ويرى في أي اتجاه ستكون حركتك. ولا يمكنك إلا أن تتحرك وعندما يبدأ هو في الجري سيغير اتجاه جريه بعد الخطوة الأولى وأنت تقف على الساق الخاطئة.»

عادا في هذه الأثناء إلى الشارع الإسفلتي واقتربا من مدخل المنطقة. مشيا فوق نشارة خشب مبللة متناثرة هنا وهناك كانت قد

تطايرت قبل المطر إلى الشارع. وسأل بلوخ نفسه إن كان الموظف قد تحدث باستفاضة عن شيء يمكن إيجازه في جملة، لأنه يعني بذلك شيئا أخر. قال بلوخ لنفسه «لقد تحدث عن ظهر قلب!» وبدأ يجرب من جانبه أن يتحدث طولا وعرضا عن شيء يحتاج عادة إلى جملة واحدة. لكن موظف الجمارك اعتبر ذلك أمرا طبيعيا وسأله إلام يهدف بهذا الحديث. إذن فعلى ما يبدو أن موظف الجمارك قد عنى كل ما قاله من قبل حرفيا. في وسط المنطقة قابلا جماعة من المشاركين في دورة للرقص. «دورة للرقص؟» إلام تلمح هذه الكلمة؟ بحثت فتاة أثناء سيرها عن شيء داخل «حقيبة يدها» وارتدت أخرى حذاءا «برقبة» عالية. هل كانت تلك الأشياء اختصارات لشيء ما؟ سمع إغلاق حقيبة اليد وراءه؛ وكاد أن يغلق المظلة كرد على ذلك.

رافق موظف الجمارك بالمظلة حتى مبنى سكني تابع للبلدية. قال الموظف وهو على السلم «لقد أجرت المنزل حتى الآن، لكنني أوفر من أجل شقة تمليك.» دخل بلوخ أيضا. سأله الموظف إن كان يريد أن يشرب معه كأسا من العرقي؟ رفض بلوخ، لكنه ظل واقفا. وأطفئ النور ثانية أثناء صعود الموظف على السلم. استند بلوخ على صناديق البريد بأسفل. مرت بالخارج طائرة على ارتفاع عال نسبيا. زعق موظف الجمارك في الظلام «طائرة البريد!» وضغط على زر النور. وصدرت ضجة مروعة على السلم فخرج بلوخ بسرعة. وسمع في الفندق أن شركة سياحة كبرى قد وصلت ونزلت بأسرة سفر في ملعب البولنج؛ ولذلك فإن اليوم هادئ. سأل بلوخ

الفتاة التي أعطته هذه المعلومات إن كانت تريد أن تصعد معه للغرفة. فقالت بجدية أن ذلك غير ممكن اليوم. ثم سمعها بعد ذلك تمر بطول الردهة عابرة بغرفته. كانت الغرفة باردة من أثر المطر، حتى تراءى له أنه كان عليهم أن ينثروا فيها نشارة خشب مبللة. وضع المظلة بطرفها الأمامي في حوض الغسيل واستلقى بملابسه على السرير.

وأدرك بلوغ النعاس. قام ببعض الحركات المتعبة التي كان من شأنها أن تجعل النعاس شيئا مضحكا، لكن على النقيض ازداد نعاسا. وخطرت له بعض الأشياء التي قالها أثناء اليوم؛ حاول التخلص منها مع زفيره. ثم أحس بنفسه ينعس؛ وقال لنفسه، إحساس مشابه لما قبل نهاية فقرة ما. ديوك برية تطير عبر النار والصيادون يسيرون بمحاذاة حقل الذرة، وساعي الفندق يقف في حجرة التخزين ويكتب بالطباشير أرقام الحجرات على حقيبة مستنداته، وعليقة بلا أشواك مليئة بطيور السنونو والحلزونات.

وأفاق تدريجيا ولاحظ أن شخصا ما بالغرفة المجاورة يتنفس بصوت عال وقد كون أثناء نعاسه جملا من إيقاع هذا التنفس؛ فقد سمع الزفير على أنه «و» ممدودة وتحول الضجيج الممتد للشهيق لديه إلى جمل فُصلت بشرطة تطابق فترة التوقف اللازمة ما بين الزفير والشهيق التي والتي تُوصل بـ«و» وقف جنود بأحذية خروج لامعة، ووضعت علبة أعواد الثقاب فوق علبة السجائر وفوق التلفزيون كانت هناك زهرية، ونثرت عربة نقل محملة بالرمل غبارها على الباص أثناء مرورها به، حمل شخص يريد إيقاف

سيارة في اليد الأخرى شجيرة عنب، وقال أحدهم أمام الباب: «افتح من فضلك!»

«افتح من فضلك!» هاتان الكلمتان الأخيرتان لا تتناسبان مع صوت التنفس في الحجرة المجاورة والذي أصبح أكثر وضوحا الآن، بينما لم تعد الجمل مناسبة على الإطلاق. الآن صحا تماما. دق شخص ما على الباب وقال مرة أخرى «افتح من فضلك!» لا بد أن توقف سقوط المطر هو ما أيقظه.

نهض بسرعة، وطارت ريشة من وسادة السرير وعادت تسقط في مكانها، وقفت عاملة الفندق أمام الباب وبيدها صينية إفطار. وتمكن بالكاد أن يقول لها أنه لم يطلب إفطارا، فاعتذرت ودقت على الغرفة المجاورة.

وعندما أصبح وحده في الغرفة وجد أن كل شيء قد تبدل موضعه. فتح الصنبور. وعلى الفور سقطت ذبابة من المرآة إلى حوض الغسيل وشُطفت في الحال مع الماء المنساب. جلس على السرير: كان السرير لتوه على يمينه الآن أصبح على يساره. هل كانت الصورة معكوسة من الجوانب؟ تأمل المشهد من اليسار إلى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار وأعاد تأمله ثانية من اليسار إلى اليمين؛ بدت له هذه النظرة مثل القراءة. رأى «خزانة» «بعدها» «مائدة» «صغيرة» «بعدها» «سلة مهملات» «بعدها» «ستار حائط»؛ وعلى العكس من ذلك رأى عند النظر من اليمين إلى اليسار بجانبه وتحته وبجوارها وعليه ؛ وعندما تجول ببصره رأى الـ وبجانبه و جلس على وتحته

كان هناك ــــ وبجانبه .. ذهب إلى :

شد بلوخ الستائر وخرج.

كانت صالة الطعام ممتلئة بزبائن شركة السياحة. أشار صاحب الفندق إلى الحجرة المجاورة ذات الستائر المغلقة التي تجلس بها أمه أمام التلفزيون. شد صاحب الفندق الستار ووقف بجانب بلوخ؛ رآه بلوخ مرة يقف إلى يساره وعندما رفع راسه مرة أخرى كان يقف بالعكس. طلب بلوخ إفطارا وأمر بإحضار الجريدة. قال صاحب الفندق أن الجريدة يقرأها الآن التابعين لشركة السياحة. تحسس بلوخ وجهه بأصابعه؛ أحس أن خديه ميتان وأحس ببرودة. زحف الذباب ببطء شديد على الأرضية حتى أنه ظنه أول الأمر خنافس. طارت نحلة من على حافة الشباك ثم سقطت عليها مرة ثانية. بالخارج قفز الناس فوق نقر الماء المتبقية من المطر؛ كانوا يحملون أكياس تسوق ثقيلة. تحسس بلوخ وجهه كله.

دخل صاحب الفندق بالصينية وقال أن الصحيفة لم تزل محجوزة. تحدث بصوت شديد الخفوت، جعل بلوخ يجيب عليه أيضا بصوت خافت. قال هامسا «أن ليس هناك داع للعجلة.» كانت شاشة التلفزيون متربة في وضح النهار وانعكس الشباك الذي نظر من خلاله أطفال المدرسة إلى داخل الحجرة على سطحها.

أكل بلوخ واستمع للفيلم وأخذت أم المالك تنوح من حين لآخر.

لمح بالخارج حاملا عليه حقيبة مليئة بالصحف. خرج وألقى بعملة في الثقب الموجود بجانب الحقيبة وسحب جريدة. كان مدربا بشكل حاذق على تقليب صفحات الجرائد، حتى أنه قد قرأ وصفا لملامحه أثناء دخوله الفندق. لقد لمحته امرأة في الباص، لأنه فقد عملات من جيبه؛ وقد انحنت ورأت أنها عملات أمريكية. ثم عرفت بعد ذلك أنهم قد وجدوا مثل هذه العملات بجانب المحصلة القتيلة. في بادئ الأمر لم يأخذ أحد أقوالها مأخذ الجد، ولكن تبين بعد ذلك أن وصفها يتطابق مع وصف أحد معارف المحصلة لرجل وقف أمام السينما، حينما أتى هو لتوصيلها ليلة ما قبل الحادث.

جلس بلوخ مرة أخرى في الحجرة الجانبية وتأمل الصورة التي رُسمت له طبقا لأقوال المرأة. هل يعني ذلك أنهم لم يعرفوا اسمه بعد؟ متى طبعت الجريدة؟ رأى أنها الطبعة الأولى التي تصدر عادة ليلة اليوم التالي. بدت له الصورة والعنوان وكأنهما ملصوقان على الجريدة؛ قال لنفسه: مثل الصحف في الأفلام: فهم يغيرون العناوين الرئيسية الحقيقية بعناوين رئيسية تناسب الفيلم؛ أو مثل العناوين الرئيسية التي تُطبع للدعاية في أحياء المتعة.

وأمكن التعرف من خلال الشخبطات على كلمة «شتوم» وقد كتبت في أولها بحرف كبير؛ لا بد أنه أسم شخص. هل لشخص اسمه شتوم علاقة بالموضوع؟ تذكر بلوخ أنه تحدث مع المحصلة عن صديقه لاعب الكرة شتوم.

وعندما قامت الفتاة بالتنظيف لم يطو بلوخ الصحيفة. وسمع أن

الغجري قد أُطلق سراحه. لقد كان موت الطفل الأبكم حادثا. بالجريدة لم يكن للطفل سوى صورة جماعية مع فصله، حيث لم يصور وحده أبدا.

سقطت على الأرض وسادة كانت أم صاحب الفندق تسند بها ظهرها. رفعها بلوخ وذهب بالجريدة إلى الخارج. رأى النسخة الخاصة بالفندق موضوعة على مائدة لعب الورق؛ لقد غادرت شركة السياحة في هذه الأثناء. كانت الصحيفة - كانت صحيفة نهاية الأسبوع - ضخمة جدا لدرجة أنها لم تدخل في الحامل.

وعندما مرت به سيارة، تعجب بدون داع - كان نهارا خاليا من الغيوم - من أنها تسير بكشافات مغلقة. لم تكن هناك أحداث هامة. رأى في بساتين الفاكهة صناديق تفاح تُفرغ في جوالات ودراجة تجاوزته ثم انزلقت في الطين عدة مرات. رأى فلاحيّن يتصافحان أمام باب محل؛ كانت يداهما جافة جدا حتى أنه سمع لهما حفيفا. تركت الجرارات القادمة من الحقول على الإسفلت آثارا طينية. رأى امرأة عجوزا تضع إصبعا على شفتيها وتقف منحنية أمام نافذة عرض. خلت مواقف انتظار السيارات أمام المحلات؛ الزبائن الذين جاءوا بعد ذلك، دخلوا من الباب الخلفي. «سالت» «رغوة» «منحدرة على» «درجات بوابة المبنى.» «وُضعت» «أسرة من الريش» «خلف» «نوافذ العرض» أُدخلت لافتات الأسعار السوداء إلى داخل المحلات. «التقط» «الدجاج» «العنب الساقط على الأرض» رقدت الديوك الرومية بكل ثقلها على الأقفاص المصنوعة من السلك في بساتين الفاكهة. خرجت الفتيات المتدربات من الباب واستندن

بأيديهن إلى عظمة الخصر. وقف البائع في المحل المظلم خلف الميزان. «على مائدة المحل» «كانت هناك» «بقايا خميرة» وقف بلوخ بجانب حائط منزل. صدر صوت غريب، عندما فُتح بجانبه شباك كان مواربا. وأكمل سيره مباشرة.

وقف أمام مبنى جديد لم يسكنه أحد بعد، لكن ألواح النوافذ الزجاجية قد رُكبت. كانت الغرف خالية تماما، بحيث أمكنه أن ينظر عبر النوافذ إلى الطبيعة الخضراء خلف المبنى. بدا لبلوخ وكأنه قد قام بتجهيز المنزل بنفسه. أنه قام بتركيب المقابس وألواح النوافذ. كذلك كان الأزميل وورق الغداء وكوب المشهيات ملكا له.

نظر مرة ثانية: لا، لقد ظلت مفاتيح النور، مفاتيح نور وكراسي الحديقة في الطبيعة الخضراء خلف المبنى بقيت كراسي حديقة.

استمر في سيره لأن –

هل عليه أن يبرر استمراره في السير، لكي – ؟

إلام يهدف عندما – ؟ هل عليه أن يبرر «عندما»، بأن – ؟ استمر في سيره حتى – ؟ هل انتهى تماما، بحيث – ؟

لماذا يجب أن يتبع سيره هنا شيئا تاليا له؟ هل عليه أن يبرر سبب وقوفه؟ لماذا يجب عليه وضع هدف معين، عند مروره بحمام سباحة؟

كانت هذه الكلمات «بحيث» و«لأن» و«لكي» مثل التعليمات؛ لقد قرر تجنبها، لكي لا–

شعر وكأن نافذة مواربة تفتح بصوت خافت بجانبه. كان كل ما يمكن التفكير فيه وكل ما يمكن رؤيته محجوزا. لم تزعجه صرخة،

بل أزعجته جملة وُضعت على رأسه في نهاية قائمة من الجمل المعتادة. بدا له أن الأشياء كلها قد اتخذت اسما جديدا.

كان المحلات مغلقة. بدت الرفوف التي لم يعد أحد يمر أمامها ممتلئة. لم يكن هناك بها مكان، ليس به على الأقل رصة معلبات محفوظة. تعلقت نصف ورقة حساب مقطوعة على خزينة التحصيل الخاصة بالمحل. كانت المحلات مرتبة جدا، بحيث...

«كانت المحلات مرتبة جدا، بحيث لم يعد من الممكن الإشارة إلى شيء، لأن» «كانت المحلات مرتبة جدا، بحيث لم يعد من الممكن الإشارة إلى شيء، لأن الأشياء المفردة تغطي بعضها بعضا.» في هذه الأثناء لم يكن بمواقف انتظار السيارات سوى دراجات الفتيات المتدربات.

ذهب بلوخ بعد الغداء إلى الساحة الرياضية. وسمع من على البعد صياح المتفرجين. عندما وصل، كانت الفرق الاحتياطية تقوم بالإحماء. جلس على دكة بالناحية الطولية للملعب وأخذ يقرأ الجريدة حتى وصل لملحقات نهاية الأسبوع. سمع صوتا يشبه سقوط قطعة من اللحم على أرض حجرية؛ رفع رأسه ورأى أن الكرة الثقيلة المبللة قد ارتطمت برأس أحد اللاعبين.

نهض وانصرف. وعندما عاد كانت المباراة الأساسية قد بدأت. وكانت الدكك محجوزة. مشى بطول الملعب خلف المرمى. لم يرد أن يقف ملتصقا بالمرمى، وصعد منحدرا إلى الشارع. مشى بطول الشارع حتى وصل إلى راية الضربة الركنية. وتصور أن زرا قد قُطع من معطفه وجرى على أرض الشارع. التقط الزر ووضعه في

جيبه.

تحدث مع شخص ما جلس بجانبه. واستعلم منه عن الفرق التي تلعب وسأله عن مركزها في جدول الدوري. وقال بلوخ أن عليهم ألا يلعبوا كرات عالية في ظل هذه الريح المضادة.

ولاحظ أن لدى الرجل الجالس بجواره أبازيم في حذائه. أجاب الرجل «لا أعرف شيئا عن الفرق التي تلعب، إنني مندوب مبيعات وأقيم بالمنطقة لعدة أيام.»

قال بلوخ «يصرخ اللاعبون كثيرا جدا، اللعب الجيد يسير بهدوء»

أجاب مندوب المبيعات «ليس هناك مدرب يناديهم من طرف الملعب ليبلغهم بما يجب عمله.» تصور بلوخ أنهما يتحدثان سويا من أجل شخص ثالث.

قال بلوخ «على هذه المساحات الصغيرة لا بد أن تأخذ قرارك بسرعة جدا أثناء عمل التمريرات»

سمع صوت قرع، وكأن الكرة قد اصطدمت بعارض المرمى. حكى بلوخ أنه قد لعب ذات مرة ضد فريق كان كل لاعبيه حفاة؛ وكان صوت القرع يزداد أكثر وأكثر في أذنيه عند ركلهم للكرة. قال مندوب المبيعات «لقد رأيت ذات مرة في الاستاد لاعبا كسرت ساقه وقد سُمع صوت الكسر في كل الاستاد حتى أخر أماكن الوقوف.»

رأى بلوخ بجانبه متفرجيْن آخرين يتحدثان سويا. لم يتأمل المتحدث بل المستمع. سأل مندوب المبيعات إن كان قد حاول ذات مرة عند أحد الهجمات ألا يتابع من البداية المهاجمين بل حارس

المرمى الذي يجرى المهاجمين بالكرة تجاهه.

قال بلوخ «أنه من الصعب أن تصرف نظرك عن المهاجمين والكرة وأن تشاهد حارس المرمى، لا بد أن تخلص نفسك من الكرة، أنه لشيء غير طبيعي بالمرة» عندما ترى حارس المرمى بدلا من الكرة وهو يتحسس فخذيه ويجري للوراء وينثني يمينا ويسارا ويصرخ في المدافعين. «عادة ما تلمحه عندما تسدد الكرة إلى المرمى.»

سارا معا بطول خط التماس. سمع بلوخ لهاثا وكأن مراقب الخط قد مر بهما جريا. وقال «أنه لمشهد غريب أن ترى حارس المرمى يجري هكذا هنا وهناك بدون كرة، انتظارا للكرة.»

أجاب مندوب المبيعات أنه لا يستطيع أن ينظر إليه فترة طويلة، إنه يعاود النظر لا إراديا إلى المهاجمين ثانية. وعندما تنظر إلى حارس المرمى، يساورك إحساس بأنك عليك أن تحوّل. وكأنك ترى شخص ما يذهب باتجاه الباب وبدلا من أن تنظر إليه تنظر إلى مقبض الباب. ستصاب بالصداع ولن تستطيع التنفس بانتظام.

قال بلوخ «من الممكن أن تتعود على ذلك، لكنه أمر سخيف»

واحتسبت ضربة جزاء. جرى كل المشاهدين خلف المرمى.

قال بلوخ «يفكر الحارس في الزاوية التي سيصوب إليها الآخر، إن كان يعرف الراكل، فسيعرف الزاوية التي يختارها عادة. لكن من المحتمل أن يفكر راكل ضربة الجزاء في أن الحارس قد خطر له هذا التفكير. إذن سيستمر الحارس في التفكير في أن الكرة قد تأتي في الزاوية الأخرى. ماذا يحدث إذن في حالة استمرار الراكل في

التفكير مع حارس المرمى وأن يفكر في تسديد الكرة في الزاوية القديمة؟ وهكذا وهكذا.»

رأى بلوخ أن كل اللاعبين قد خرجوا من منطقة الجزاء. وضع راكل ضربة الجزاء الكرة في موضعها الصحيح. ثم رجع بظهره للوراء خارج منطقة الجزاء.

قال بلوخ «عندما يبدأ الراكل في التحرك، يشير الحارس بجسده رغما عنه إلى الاتجاه الذي سيرمي بنفسه ناحيته ويستطيع الراكل بهدوء أن يسدد الكرة في الاتجاه الأخر، كذلك قد يمكن لحارس المرمى أن يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه»

تحرك الراكل فجأة. ظل حارس المرمى الذي ارتدى سترة صفراء زاهية ساكنا تماما وسدد له راكل ضربة الجزاء الكرة في يديه.

## هذا الكتاب

وأدرك بلوخ النعاس. قام ببعض الحركات المتعبة التي كان من شأنها أن تجعل النعاس شيئا مضحكا، لكن على النقيض ازداد نعاسا. وخطرت له بعض الأشياء التي قالها أثناء اليوم؛ حاول التخلص منها مع زفيره. ثم أحس بنفسه ينعس؛ وقال لنفسه، إحساس مشابه لما قبل نهاية فقرة ما. ديوك برية تطير عبر النار والصيادون يسيرون بمحاذاة حقل الذرة، وساعي الفندق يقف في حجرة التخزين ويكتب بالطباشير أرقام الحجرات على حقيبة مستنداته، وعليقة بلا أشواك مليئة بطيور السنونو والحلزونات.



